جـامعة محمد خيضـر بسكـرة
كليـة الآداب واللغــات
قســم الآداب واللـغة العربيـة

مذكرة مـــــاستر
ميدان اللغة العربية وآدابها
فرع الدراسات النقدية
تخصص: نقد حديث ومعاصر
رقم:ن/7

إعداد الطالبة
سعاد حشاني
يوم:2021/07/04

التأويل عند عبد الله الغذامي " النقد الثقافي "

أنموذجا

لجنـــة المنـــاقشة:

- لعلى سعادة	أ.مح.أ	- جامعة محمد خيضر بسكرة	- مشرفا ومقررا
- نوال بن صالح	أ.مح.أ	- جامعة محمد خيضر بسكرة	- رئيسا
- نسيمة قط	أ.مح.أ	- جامعة محمد خيضر بسكرة	- مناقشا

السنة الجامعية : 2020 - 2021

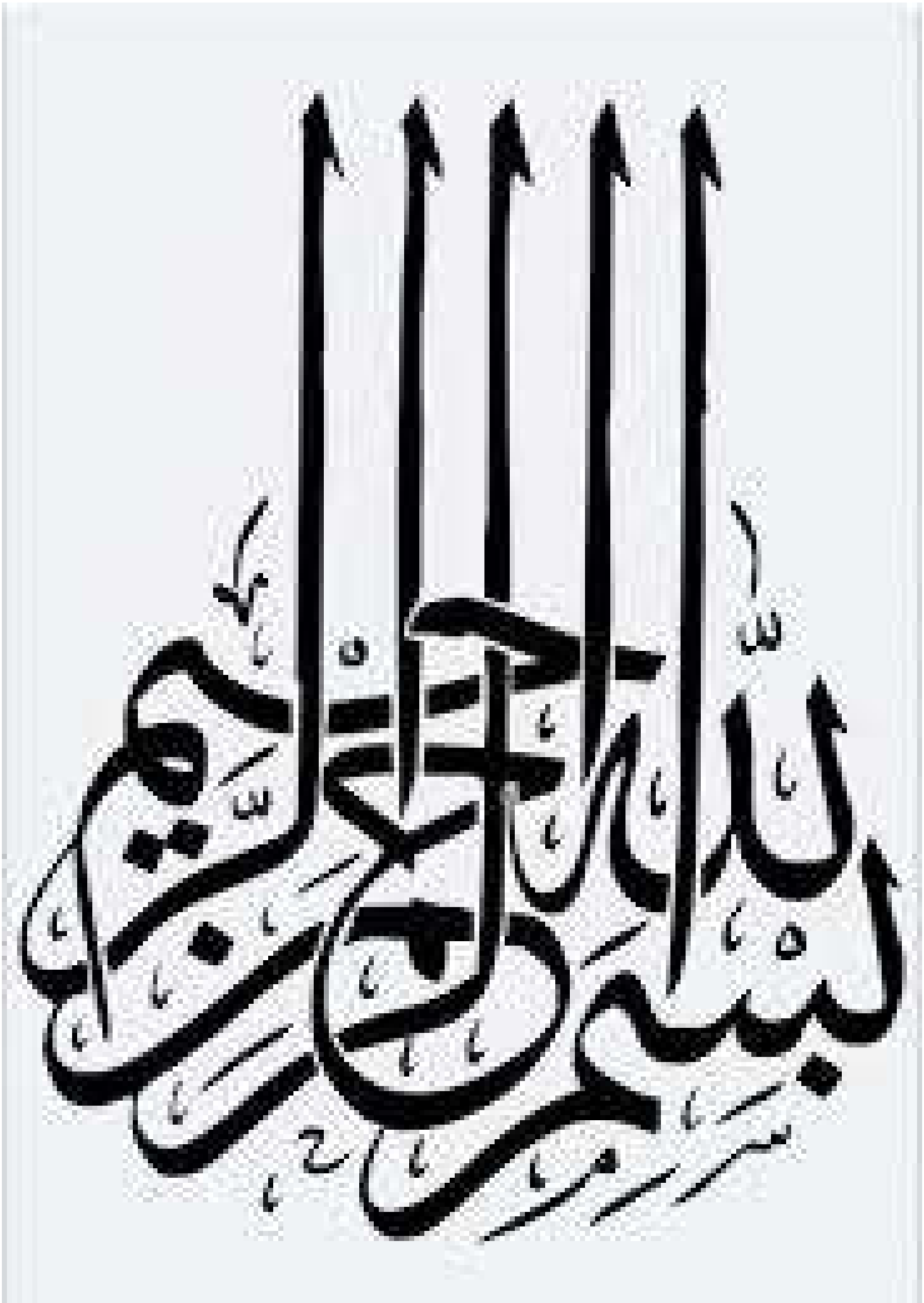

شكر و عرفان

إلى من تولى الإشراف على إنجاز مذكراتي في مرحلة التعليم العالي والبحث العلمي

- ليسانس والماستر- من بدايتها إلى نهايتها **"د/ لعلى سعادة"**

إلى من لهما الحق في بقية الأسطر، وتتسع لهما الصفحات

إلى من صنع العزم والشجاعة، وغرسه بذاتي طول طول طول الصبر ليحيا ما حيت...والدتي..

إلى من آثرني على نفسه ومنحني فرصته في الحياة... والدي

إلى من نال الزمان منهما كَدَا، ها أنا أنال لكما منه وِدَا... والديّ الكريمين، أدام الله عليكما الصحة والعمر الطويل.

الحمد لله الذي أعانني أن تعيشا فرحة تخرجي، وهي

الثمرة التي طالما انتظرتما طعمها

إلى كل من في القلب والذاكرة، ولم تسع لهم مذكرتي، أهدي هذا العمل.

مقدمة

إن الاكتشافات التي يشهدها العالم تسهم بشكل كبير في تغيير طريقة تفكيرنا، مما يؤدي إلى التغيير على مستوى الحياة الاجتماعية والسياسية والأدبية ... وهذا ما جعل النقد الأدبي، الذي يعيش هذه التغييرات، يتطور متأثرا بالحداثة، وفي الوقت نفسه يتمسك بموروثه الثقافي الذي يمثل هويته.

تأرجح النقد الأدبي بين الفكر القديم المحافظ، وبين الفكر الحداثي الجديد، وهذا ما أدى إلى تغيير محطاته في دراسة الخطابات الأدبية التي رسى عليها منذ زمن طويل، (نقد الخطابات الأدبية والحكم عليها). هذا التغيير في خطة النقد الأدبي أدى إلى تغيير في اسمه، كونه متأثرا بالثقافة، وهو ما اعتبره المهتمون بشؤون النقد مواكبة الجديد الذي مس النقد ابتداء من تسميته إلى طريقة عمله. إنه النقد الثقافي، الموسوم بالممارسة النقدية الجديدة في مرحلة ما بعد الحداثة، وهو ما طرح بديلا للنقد الأدبي، الذي يكشف الناقد بوساطته عن الخلل في الموضوع من خلال القراءة الثقافية.

يعتبر عبد الله الغذامي، الناقد السعودي، أول من تبنى الاعتراف بالمرحلة الانتقالية، مرحلة تقهقر النقد الأدبي ليحل محله النقد الثقافي، وهذا ما كشف عنه في دراسة نقدية تحت عنوان "النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية"، الذي قرأ من خلاله الخطابات الأدبية قراءة ثقافية بغية الكشف عما تتضمنه الأنساق من مضمرات بين ألفاظ اللغة وتصويرها الجمالي، ليظهر من يفكك ويشرح ويخرج فحوى هذه الأنساق من تحت غطائها الجمالي. إنه التأويل أو الممارسة النقدية الضرورية التي استعان بها الغذامي ليكشف أمر الأنساق الثقافية، انطلاقا من الظاهر في الخطاب، وصولا إلى المخبوء والمهمش.

إنها الفرصة التي أتاحها الناقد عبد الله الغذامي في قراءة الخطابات للوصول إلى فحواها من خلال (التأويل) لفهم حاضر وغائب الخطاب. ومن هنا كان موضوع بحثنا هذا المرسوم بـ:" التأويل عند عبد الله الغذامي. النقد الثقافي أنموذجا".

وتبدأ إشكالية بحثنا في الآتي:

كيف مارس عبد الله الغذامي التأويل على الأنساق الثقافية العربية؟.

و للإجابة عن الإشكالية المطروحة، تشكلت خطة البحث، وتألفت من: مقدمة، ومدخل، وفصلين، وخاتمة.

عنونّا المدخل بـ (الماهيات)، تطرقنا فيه إلى المفهوم اللغوي والاصطلاحي للكلمات المفتاحية (التأويل، النقد الثقافي، النسق..)، كما تطرقنا لعنوان آخر فصلنا فيه القول في عملية التأويل وهو:"حدود التأويل"، ليكون المدخل تمهيدا للموضوع من خلال فهم أهم المصطلحات الأساسية التي تمكننا من الولوج إلى موضوع البحث في الفصليين التطبيقيين.

الفصل الأول معنون بـ(التأويل والنقد الثقافي عند الغذامي)، تناولنا فيه أنواع الأنساق، والنقلة في المصطلح عند الغذامي، وكذلك الدلالة النسقية.

أما في الفصل الثاني المعنون بـ(ممارسة التأويل عند الغذامي) فقد تطرقنا فيه إلى أربع شخصيات أساسية تطرق إليها الغذامي في النموذج، ومارس عليها عملية التأويل وهي:" المتنبي، أبو تمام، نزار قباني، أدونيس"، وهو ما تطرق إليه الغذامي في المستوى التطبيقي.

أما الخاتمة فكانت تتويجا لأهم النتائج المتوصل إليها في هذه الدراسة، مجيبين على الإشكالية المطروحة.

استند البحث على مجموعة هامة من المراجع، أبرزها:

- إشكالات التأويل ليوسف زحاف.
- نظريات النقد الأدبي في مرحلة النقد الأدبي، في مرحلة ما بعد الحداثة لجميل حمداوي.

أما البقية فنتركها للصفحات المخصصة لها.

أما السبب الرئيس الذي دفعني إلى اختيار موضوع البحث فهو: قيمة الموضوع الذي جمع بين "النقد الثقافي" و "التأويل"، حيث شدني كيفية تطبيق الغذامي للتأويل في النقد الثقافي، وهو ما زادني شغفا للبحث في الموضوعين في آن واحد، معتمدة في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي.

ولإنجاز هذا البحث، واجهتني صعوبات جمّة، منها: ضيق الوقت وقلة المراجع التي جمعت بين النقد الثقافي والتأويل.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر إلى من أشرف عليّ لإنجاز هذا البحث، وتتبع أطواره وفصوله من البداية إلى النهاية "**د. لعلى سعادة**"، وعلى قبوله الإشراف على هذا والشكر موصول إلى أعضاء لجنة المناقشة على ما بذلوه من جهد لتقويم هذه المذكرة.

مدخل

مدخل: في الماهيات :

تمهيد :

لا يمكننا التطرق إلى مفهوم مصطلح التأويل في شقيه اللغوي أو الاصطلاحي قبل أن نتناول ما يقابل "مصطلح الهرمينوطيقا HERMENEUTIQUE" أي علم أو "فن التأويل" ويعود استخدام هذا المصطلح للدلالة على هذا المعنى إلى عام 1654.... أما الممارسة التأويلية في حد ذاتها فإنها تعود على أبعد من ذلك. اختلف المؤرخون في أصولها، فمنهم من يردها إلى المجهودات في العصر الكلاسيكي من أجل استخراج معنى الهوميرية التي أصبحت لغتها تمتنع عن الفهم المباشر ومنهم من يؤكد أنها بدأت في الإسكندرية واسترجعت في عصر النهضة والإصلاح[1]، وازدهرت مع عصر الأنوار والرومانسية، وهي في نظرهم ذات أصول دينية محضة، مرتبطة بالحاجة إلى تأويل الكتاب المقدس (الإنجيل) الذي لم يعد فهمه المباشر ممكنا[2].

والهرمينوطيقا "كلمة ذات أصل يوناني في أصلها مشتقة من الفعل اليوناني، HERMENUIA، والذي يعني يفسر، والاسم HERMENUIA يعني التفسير والتي ترتبط في أصلها بالإله هرمس، ورسول الآلهة والوسيط بين الآلهة والبشر"[3] وتكمن "وظيفته في نقل لغة الآلهة وفهم ما يجول في خاطر هذه الكائنات الخالدة ثم ترجم مقاصده وينقلها إلى أهل الفناء من بني البشر"[4].

أخذ هذا الفن "التأويل" أو "الهرمينوطيقا" طريقه إلى التطور، كغيره من الفنون الأدبية، حيث انتقل من " نطاق النصوص الدينية وكشف معانيها الحقيقية، ولكن مع بدايات العصر

---

[1] ينظر عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، منشورات الاختلاف ط1، 2007م، ص 17.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص18.

[3] عادل مصطفى، مدخل إلى الهرمينوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، ط1، 2003 م، ص17.

[4] المرجع نفسه، ص 24.

الحديث لم يبق التأويل مقتصرا على النص الديني، بل تجاوز ذلك إلى كافة النصوص. وبهذا أصبح هناك ستة معاني حديثة للهرمينوطيقا حسب تطورها عبر التاريخ"[5].

والتي عدت كالآتي:

* نظرية تفسير فقه اللغة العام.
* ميثولوجيا فقه اللغة العام.
* علم كل فهم لغوي.
* الأساس المنهجي للعلوم الإنسانية (الروحية)GeisteswisseschaFten.
* فينوهينولوجيا الوجود والفهم الوجودي.
* أنساق التأويل (سواء الإستجماعي أو التحطيمي) التي يستخدمها الإنسان للوصول إلى معنى القابع وراء الأساطير والرموز.

إذن فهي "فن امتلاك كل الشروط الضرورية للفهم"[6].

[5] المرجع نفسه، ص 66 ، 67.

[6] عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، ص 17.

01-مفهوم الـــتأويـــــل

1-1لغـــــــة:

ورد مصطلح التأويل في لسان العرب لابن منظور: (أوَّل الكلام وتَأَوَّله: دبره وقدَّره، وأوّله وتأوَّله: فَسرَّه وقوله عز وجل: "ولما يأتيهم تأويلهُ" أي لم يكن معهم علم تأويله، وهذا دليل على أن علم التأويل ينبغي أن ينظر فيه).

وسئل أبو العباس أحمد بن يحي عن التأويل فقال: التأويل والمعنى والتفسير واحد. والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلا ببيان غير لفظه[1].

وجاء في معجم مقاييس اللغة: "تأويل الكلام، وهو عاقبته وما يؤول إليه، وذلك قوله تعالى: " هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَ تَأْوِيلَهُ""، يقول:" ما يَؤُول إليه في وقت بعثهم ونشورهم"[2].

وقال الراغب: "التأويل: رَدُّ الشَّيءِ إلى الغاية المُرَادَةِ منه، قَوْلاً كان أو فِعْلاً، وفي جَمْعِ الجوَامِع: هُوَ حَمْلُ الظاهر على المحتمل المرجوح، فإنه حُمِلَ لِدَليل فَصَحِيحٌ، أو لِما يُظَنُّ دَليلاً، ففاسِدُ، أولا لشيءٍ، فَلَعِبٌ لاَ تَأْويلٌ"[3].

ويقال آل- أولاً ومالاً إليه: رجع المآل: المرجع.

- وأول الكلام: فَسَّره وقدَّره والرُّؤيا: عبَّرها. تأوّل الكلامَ: أوّله وفيه الخيرّ: تبينه.
- المآل: النتيجة (مآل الكلام) معادُهُ[4].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة أول، مجلد 1، دار الأبحاث، ط1، 2008، ص 249.

[2] أبو حسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة، مجلد1، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط2، 2008م، ص87.

[3] محمد مرتضي الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مجلد 1، دار الأبحاث، ط1، 2008، ص 337.

[4] المنجد في اللغة العربية و الأعلام، دار المشرق بيروت – لبنان، ص 21.

التأويل: "هو مصطلح أصولي في مجال النظر في النصوص، يراد به: نقل اللفظ عما اقتضاه ظاهِره مما وُضِع له في اللغة إلى معنى آخر[1].

وقال صاحب القاموس المحيط: "و أولّه إليه رجعه... وأول الكلام تأويلاً وتأوّله دبّره وقدره ونشره والتأويل عبارة الرؤيا"[2].

تناولنا مصطلح " التأويل" في العديد من المعاجم اللغوية السابقة ورغم تنوع هذه المعاجم اللغوية إلا أن مصطلح " التأويل" فيها لم يتغير معناه فنجدها كلها ذات دلالة واحدة ترادفت من خلال الألفاظ التالية: التفسير، المعنى، الرد، الرجوع، التدبر، الرؤيا.

1-2اصطلاحا:

تعددت المفاهيم الاصطلاحية كما تعددت – في المعاجم اللغوية– سابقا بين النقاد العرب والغرب ورغم تنوعها وتعددها نجدها كلها تتجه صوب "النص" الديني أو الأدبي لدراسته وفهم معانيه الظاهر منها والباطن هذا الأخير الذي ركز عليه **ابن رشد** الذي حصر التأويل في المجال الديني وأكد على وجوب: "تأويل الآيات لرفع التضاد...بالانتقال من الدلالة الحقيقية للفظ إلى الدلالة المجازية، و الأولى القول الانتقال من السطحي والظاهر الذي هو المثل المضروب إلى الخفي والباطن الذي هو المعنى الجوهري و المقصود"[3].

كما سبق أن قلنا أن التأويل تنوع عبر النصوص الدينية و الأدبية في العصر الحديث مع دارسيه وهذا النوع راجع إلى اختلاف توجهاتهم الفكرية مما أدى إلى تنوع دلالته، ومثل هذه الدراسة نجدها عند "ريكور" الذي كان في "بداية اهتمامه بالرمزية يشير إليه باعتباره علم قواعد فك الشفرات الخاصة بلغة الرموز الدينية.... الذي يدعمه ويرعاه يبدأ من معرفة المعنى الموضوعي للنص المستخلص بجلاء من القصد الذاتي للمؤلف، وهذا المعنى الموضوعي ليس شيئا مختفيا في النص ولكنه شفرة موجهة إلى القارئ فالتأويل عبارة عن نوع من الطاعة لما يطبعه فينا النص وما يوحي به إلينا ولهذا فإن مفهوم الدائرة التأويلية لا يتجاوز حدود هذا

[1] د، وحيد كبابة، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، عربي– عربي، مجلد 1، مكتبة لبنان ناشرون بيروت–لبنان، ط1، 2012، ص152.

[2] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مجلد 3، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان، 1983، ص 331.

[3] علي حرب، هكذا أقرها بعد التفكيك، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1،2005 م، ص48.

التحول في نطاق التأويل إنه علاقة بين ذاتية inter.subjectivité تربط المؤلف بذاتية القارئ أو بمعنى أصح خطاب النص بخطاب التأويل"[1].

بما أن التأويل ارتبط بالنص بنوعيه الديني و الأدبي وبدلالته الحقيقية والمجازية أي الظاهر منها والباطن هذا يعني أنه يدرس لغة النص وتحديد معانيه "من خلال التحليل وإعادة صياغة المفردات والتراكيب من خلال التعليق على النص ، مثل هذا التأويل يركز عادة على مقطوعات غامضة أو مجازية يتعذر فهمها، أما في أوسع معانيه فالتأويل هو توضيح مرامي العمل الفني ككل ومقاصده. باستخدام وسيلة اللغة وبهذا المفهوم ينطوي التأويل على شرح خصائص العمل وسماته مثل النوع الأدبي الذي ينتمي إليه وعناصره وبنيته وغرضه وتأثيراته"[2].

دراسة اللغة، تحليلها، صياغتها، كل هذه العمليات تتم على مستوى عالي وهو العقل أو ما نقصده هنا بالتحديد الملكة الذهنية وحركتها داخل العلامات اللغوية << في مواجهة ظاهرة [ما] هو الفهم، الأقرب إلى الاستخدام>>[3]. لوصف التأويل عند نصر حامد أبو زيد، لأن كل عمل أو نص [ما] هو حالة من التماسك النصي هذا الأخير يضُّم من تحت هذا التماسك معاني غير الظاهرة والمصرح بها من خلال العلامات اللغوية و للولوج إلى هذا العالم الخفي في أصله يستوجب على القارئ القدرة على الفهم و الاستنباط من خلال ملكته الذهنية الواعية لأسلوب النص عن طريق التأويل.

فهو يعتمد على <<صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها، تحتمله الآية من طريق الاستنباط >>[4]وهذا على حد قول السيوطي.

إذا أردنا ببساطة، تعريف كلمة " التأويل" يمكننا القول: << إنها تعني إظهار خفايا النص وتوضيحه.... فالتأويل توأم لمفهوم آخر ألا وهو – فك الرموز– بحيث تصبح المعاني المبطنة أكثر وضوحاً وسهولة >>[5] .

---

[1] محمد هاشم عبد الله، ظاهريات التأويل – قراءة في دلالات المعنى عند بول ريكور، مجلة فضول النقد الأدبي، ع 3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996، ص 98.

[2] د، ميجان الرويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط3، 2002 م، ص 88.

[3] نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسته في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2014م،ص 231.

[4] جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، ط1، 2010م، ص 167.

[5] د. أمير حسين المدني، الهرمينوطيقا –قراءة في المحددات العامة– مجلة الحياة الطيبة ع 2، إخراج وطباعة شركة ديوان العالمية، 2014م، ص 21.

1-3في القرآن الكريم

ورد مصطلح التأويل في العديد من سور القرآن الكريم، ولذلك يجب علينا تناوله في هذه البحث، كما تطرقنا لتعريفه على المستوى اللغوي والاصطلاحي سابقا.

وجدنا في كتاب إشكالات التأويل أن تعدد ورود مصطلح التأويل في العديد من السور القرآنية والتي عدت "في سبعة عشر موضعا، وهذا العدد ينم عن أصالة هذه المادة وعراقتها في اللسان العربي"[1].

بما أن القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل، والذي يجب اعتباره أدق المصادر اللغوية التي يجب الرجوع إليها والوقوف على حكمها، ولذلك نجد اجتهادات الأدباء والمفسرين لمعنى التأويل في القرآن الكريم عديدة والتي تم تصنيفها في كتاب إشكالات التأويل إلى أربعة أصناف هي:

الصنف الأول: "وهو ما يدل على أحسن وأجمل عاقبة ومآلا مثل ما ورد في سورة النساء قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا""[2].

الصنف الثاني: "وهو ما يتعلق بما يرى في الأحلام والتي يتحقق تأويلها ويكشف عن مقاصدها من مثل ما جاء في آيات سورة يوسف "يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا""[3].

النصف الثالث: ويأتي التأويل هنا على ما يفيد معنى "العلة" أو "الباعث" أو "السبب" الذي حمله على فعل ما فعل من أمور غير منطقية ولا تتماشى مع معهود الناس في المعاملة وهذا راجع إلى تفاوت في الأفق المعرفي مثل ما جاء في قصة النبي موسى عليه السلام مع الرجل الصالح في سورة الكهف، "قال تعالى:" وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تستطيع عليه صبرا"، "فالتأويل هنا يرتبط بالقدرة على استكناه الحديث والوقوف على خباياه من خلال الآفاق المعرفية التي تسمح بإدراك، مالا يكون في متناول الجميع""[4].

الصنف الرابع: "وهو ما يتركز حول العاقبة أو المصير في بعض الحالات أو العلة و الباحث في حالات أخرى ولكنه مشحون بدلالات إضافية، وخاصة عندما يقرن الاقتدار عليه بالله

---

[1] يوسف بن زحاف، إشكالات التأويل، دار غيدا، ص26.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص26.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص29.

[4] ينظر يوسف زحاف، إشكالات التأويل، ص30و 31.

سبحانه أو إلى الراسخين في العلم الذين يعلمون التأويل دون سواهم من المؤمنين وهذا ما نجده في سورة آل عمران، قال تعالى:" هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب""[1].

تعددت دلالات التأويل في القرآن الكريم بحسب السياق الذي ترد فيه، فتنوعت بين ما يعني العاقبة و المصير وما يفيد العلة والسبب، كما تعلق أيضا بتأويل ما يرى في الأحلام، وما يدل على المعرفة البشرية المحكومة بحدود البرهان والتعليل وهي القدرة التي يتميز بها الراسخون في العلم عن غيرهم من المؤمنين.

وإذا ما ذهبنا إلى رأي ابن تميمة حول مصطلح التأويل في القرآن الكريم عندما تطرق إلى دراسة حول الاستعمال القرآني لكلمة تأويل نجده أخذ مثال توضيحي في" قوله تعالى:" بل كذبوا بما لم يحيطوا بتعلمه ولما يأتهم تأويله"، فيقول: أن الإحاطة بعلم القرآن ليست إتيان تأويله، فإن الإحاطة بعلمه معرفة معاني الكلام على التمام وإتيان التأويل نفس وقوع المخبرية، وفرق بين المعرفة الخبر وبين المخبرية، فمعرفة الخبر هي معرفة تفسير القرآن ومعرفة المخبرية هي معرفة تأويله"[2].

02-حدود التأويل:

اجتهد علماء التأويل في تحديد معانيه وصولا إلى أربعة من المعاني التي تضبطه نذكرها كالآتي:

1- التأويل بمعنى الرجوع إلى الأصل:

ونحا هذا المنحى الفراهيدي والراغب الأصفهاني حين أكد أن التأويل من الأول، أي الرجوع إلى الأصل. وقد لا يكون الأصل في كل الأحوال معروفا. مما يحمل البحث على الاختلاف لاختلاف المدارك وتباينها، وتمايز القدرة على الاستنباط والاستقصاء.

2- التأويل بمعنى ما ينتهي إليه الشيء:

[1] ينظر المرجع نفسه، ص31.

[2] ينظر أحمد عبد الغفار، ظاهرة التأويل وصلتها باللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2012، ص30.

كما هو عند الأمدي و أبي بكر الرزاي، فالتأويل عندهما تفسير ما يؤول إليه الشيء وما يؤول أمره إليه. وإلى ذلك ذهب الشنقيطي: ويحتمل أن المراد...حقيقة أمره التي يؤول إليها، وهو أحد احتماليه مستندا إلى قوله تعالى: (وما يعلم تأوله إلا الله). والمعتبر على هذا، تعيين ما يؤول إليه الكلام، وينتهي عنده المعنى المراد باللفظ. وتقتضي المعرفة الاتكاء على ما يؤدي ذلك المراد وهو ما يوسّع دائرة الفهم لذات العلة السابقة مع السابق من المعاني.

3- التأويل بمعنى حمل الكلام على معنى بغير لفظ المنطوق:

ولذلك بَيَّنَ الفراهيدي أن التأويل تفسير الكلام الذي تختلط معانيه ولا يعلم إلا ببيان غير لفظه بالنقل عن الظاهر إلى ما يُحتمَل، إذ هو إخراج اللفظ من دلالته الحقيقية إلى دلالته المجازية من دون أن يخل ذلك الانتقال بعادة لسان العرب في التَّجوز.. أي بوجود القرينة التي تبيح الصرف.

4- التأويل في مقابل التفسير تساويا وتمايزا:

قال تعالى: (وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً). هذه الآية الوحيدة في القرآن التي ذكر فيها التفسير في مقابل كل آيات التأويل السابقات، ولذلك ربط مفهوم التأويل بمفهوم التفسير تفرقة أو تسوية، فرق السيوطي بينهما على أساس أن التفسير معاني الألفاظ... والتأويل دلالة التراكيب. وسرّى الفيروز آبادي بينهما و أعطاهما المفهوم عينه في توضيح حدهما معا، إذ عنده التفسير والتأويل واحد... والتأويل ردّ أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر، موفقا من قال يحمل الكلام على معنى بغير لفظ المنطوق[1].

التأويل يتحكم فيه نموذج إنتاج يشفر المحاكاة، ويهدف إلى إحداث تخييل عند المؤول ليتعين به المعنى وتتداعى معه الصور الناتجة عن معارف خلفية وملكات و فوارق فردية تجتمع لفك التشفير محدثة احتمالات متعددة بشيء من الشك والنسبية تؤدي معنى التأويل المجمل، ويكون التأويل المفصل اختيارا بدقة وثبات لمعنى بعينه مع تهميش غيره[2].

[1] د، أحمد مداس، النص والتأويل، مرجع سابق، ص 46.

[2] المرجع نفسه، ص 111.

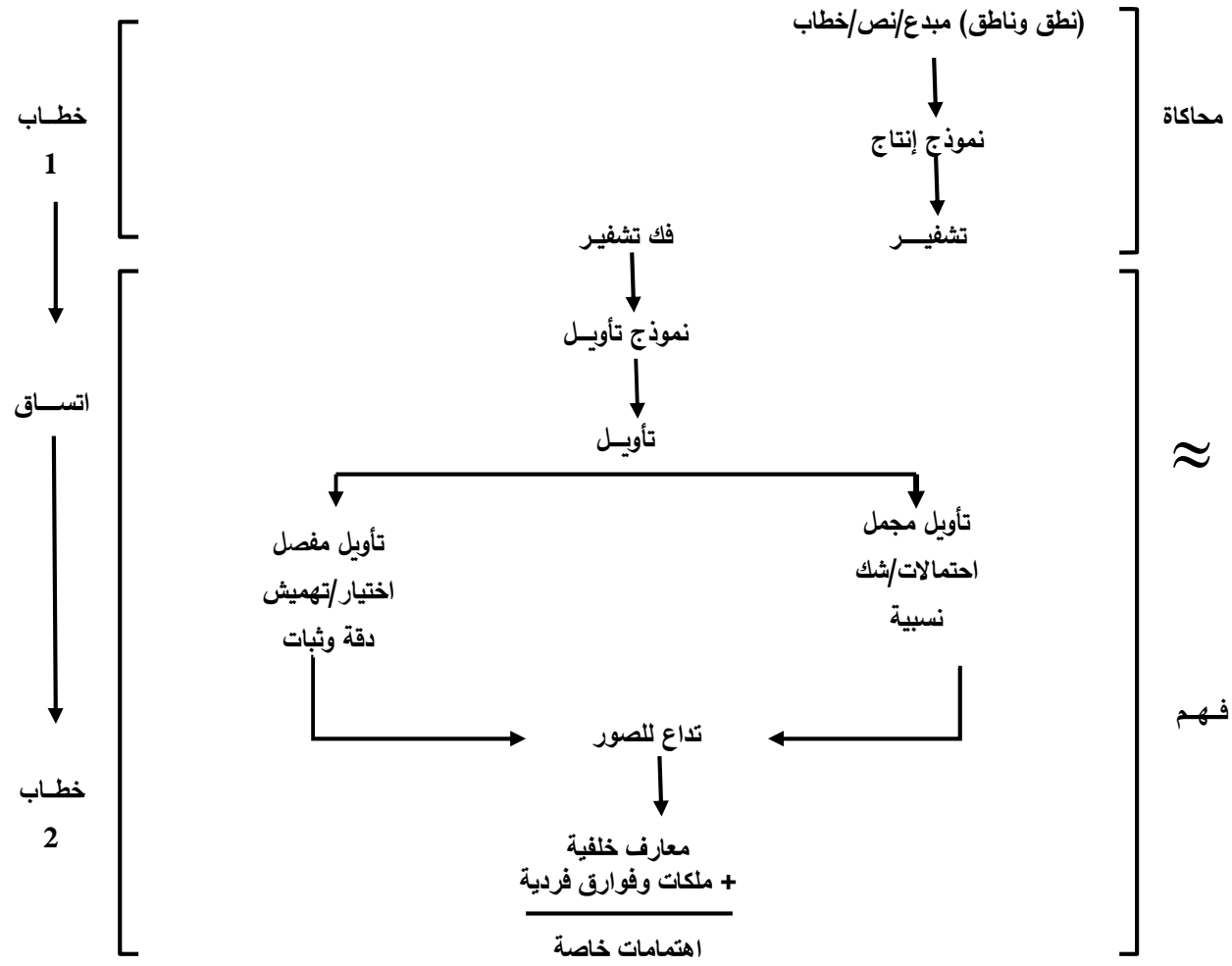

03-النقد الثقافي(Cultural criticisme)

إن التطرق إلى عنوان النقد الثقافي نجده عنوان مركب من مصطلحين "النقد" و "الثقافة" ولهذا وجب علينا التطرق لكل مصطلح على حدا، للتمكن من الوصول إلى مفهومه الإجمالي:

1-3 النقد:

لغـــــة: "النقد و التنقاد: تميز الدراهم وإخراج الزيف منها.....أي تخليص جيد الكلام من رديئه، أو هو العلم جيد الشعر من رديئه[1].

اصطلاحا: نجد مصطلح النقد مرتبط بالأدب وهذا نجده في كتب الأدب منذ القديم مثل ما نجده عند" ابن قدامة" ألف نقد الشعر(337هـ) وورد لفظ النقد والنقاد في كتاب الموازنة لأمدي(371هـ) كما أن ابن رشيق أسمى كتابه" العمدة في صناعة الشعر ونقده (463 هـ)

[1] أحمد مطلوب ، معجم مصطلحات النقد العربي القديم –عربي، عربي– مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ، لبنان، ط 1،2001، ص430.

وغير ذلك ....ونقد الأدب هو إبراز ما فيه من عيوب وما فيه من محاسن ونقد الأدب إشارة بإجادة المجيد وثلب للمقصر المسيء فالنقد هو العدل المشاهدة والفحص لا بالإهداء والميول"[1]

2-3 الثقافة :

لغة: ورد معنى الثقافة في المعاجم العربية تحت مادة "ثقف" مثلا في لسان العرب نجدها " ثَقِفَ ، وثَقُفَ ،ثَقْفاً وثَقَافَةً، صار حاذقا خفيفا فهو ثَقْفٌ وثَقُفٌ....وثَقَافَةً و ثُقُوفَةً ، الكلام: حذقه وفهمه بسرعة وثَقْفاً: ظفر به أو أدركه، وثَقَفَ، ثَقَفاً: غلبه في الحذق"[2].

اصطلاحا:

ورد مصطلح الثقافة عند العرب في مقدمة ابن خلدون فقال : "وأما الجيل الثالث فيبنون عهد البداوة والخشونة....ويلبسون على الناس في الشارة و الزي وركوب الخيل وحسن الثقافة يموهون بها"[3].

كما عرفها مالك بن نبي تعريف يتمكن الباحث عن مفهومه بشكل مبسط للفكر فقال " بأنها التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لاشعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه"[4].

ونجد مصطلح الثقافة عند الغربيين تحديدا باللغة الفرنسية culture عرفها الاليسكو بأنها:"مجموعة النشاط الفكري والفني بمعناهما الواسع وما يتصل بهما من مهارات أو يعين عليهما من وسائل ، فهي موصولة الروابط بجميع أوجه النشاط الاجتماعي الأخرى متأثرة بها، معينة عليها مستعينة بها"[5].

النقد الثقافي

النقد القافي هو مصطلح أول من استخدمه هو "فنمسنت ليتش" والذي هو اسم مشروعه النقدي، حيث جعل النقد الثقافي رديفا لمصطلحي ما بعد الحداثة و ما بعد البنيوية، والذي أراد أن يشير به إلى "نوع من النقد، يتجاوز البنيوية وما بعدها، والحداثة وما بعدها، إلى نقد يستخدم

---

[1] محمد الثونجي، المعجم المفصل في الأدب ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط2،1999، ص764.

[2].ابن منظور، لسان العرب، دار الأبحاث، ط1 ،2008، م1 ، مادة ثقف، ص 71.

[3] جميلة بنت عياد الشمري ، مفهوم الثقافة في الفكر العربي والفكر الغربي، الالوكة، ص06.

[4] جميلة بنت عياد الشمري ، مفهوم الثقافة في الفكر العربي والفكر الغربي، الألوكة، مرجع سابق، ص07.

[5] المرجع نفسه، ص07.

السوسيولوجيا والتاريخ والسياسة والمؤسساتية دون أن يتخلى عن مناهج النقد الأدبي"[1]، أي أنه أراد دراسة ما أهمله النقد الأدبي أو تعمد إهماله كون المؤسسة هي التي تفرض ما يجب تناوله أو ما يجب التغاضي عنه، أي أن هذا النقد له إمكانية أوسع في تناوله الكلي للنص وتشريحه من كل جوانبه الظاهر والخفي الغير جمالي في غرق المؤسسة، إذا من خلال النقد الثقافي يمكن تحليل النصوص والخطابات الأدبية والفنية والجمالية في ضوء معايير ثقافية وسياسية واجتماعية وأخلاقية"[2]، وذلك كونه يبحث في كل مجالات الثقافة كي يتمكن من الوصول إلى المعاني و الدلالات التي ينتجها الخطابات الأدبية.

تناول الناقد عبد الله الغذامي رائد النقد الثقافي في الوطن العربي في مشروعه النقدي والمسمى ب: – النقد الثقافي – انه " فرع من فروع النقد النصوصي العام، ومن ثم فهو احد علوم اللغة وحقول (الألسنية) معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه، وما هو غير رسمي وغير مؤسساتي وما هو كذلك سواء بسواء. من حيث دور كل منها في حساب المستهلك الثقافي الجمعي، وهو لذا معني بنقد لا الجمالي، كما هو شأن النقد الأدبي ، وإنما همه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي / الجمالي "[3].

مشروع الغذامي في النقد الثقافي هو مشروع نقدي يعني بدراسة النصوص وما تنطوي عليه من مخبوء هذا الأخير الذي تريد المؤسسة التسويق له، ضمن صورة جمالية يصعب على أي قارئ التفطن لها وهو بذلك معني بدراسة الجمالي واللاجمالي، فمن خلال الأول يتم اكتشاف الثاني وهذا ما جاء به الغذامي في مشروعه بان في الجماليات قبحيات أيضا ويجب الكشف عنها وذلك من خلال" ممارسة نقدية متطورة ودقيقة وصارمة... قادرة على تشريح النصوص"[4]. ويقصد الغذامي بهذا القول مشروعه النقدي " النقد الثقافي " الذي يعمل على

---

[1] إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط2، 2007، ص139،138.

[2] جميل حمداوي، نظريات النقد الأدبي في مرحلة النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، مكتبة الالوكة ، ص75.

[3] عبد الله الغذامي ، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب، ط3 ،2005، ص83–84.

[4] المرجع نفسه ص 84.

اكتشاف الدلالات الخفية المضمرة المخبوءة داخل النصوص الأدبية التي لم يتطرق إليه النقد الأدبي من قبله.

3-3النسق: الذي لايمكننا مغادرة عالم النقد الثقافي دون الرجوع اهم ركيزة يقوم عليها

لـــــغة:

ورد المفهوم اللغوي لمصطلح النسق في لسان العرب لابن منظور أنه [كل شيء ما كان على طريقة نظام واحد عام في الأشياء، وقد انتسقت هذه الأشياء ببعضها أي تنسقت].

كما جاء في معجم الوسيط أيضا:" نسق الشيء –نسقا: نظمه، يقال: نسق الدر، ونسق كتبه، و الكلام: عطف بعضه على بعض. (أنسق) فلان: تكلم سجعا (ناسقا) بين الأمرين: تابع بينهما ولائم، وانتسقت الأشياء: انتظم بعضها إلى بعض، والنسق ما كان على نظام واحد من كل شيء يقال: جاء القوم نسقا ويقال كلام نسق: متلائم على نظام واحد"[1].

اصطـــــلاحا:

يعرفه نعمان بوقرة النسق بأنه "ما يتولد عن تدرج الجزئيات في سياق ما، أو ما يتولد عن حركة العلاقة بين العناصر المكونة للبنية، إلا أن لهذه الحركة نظاما معينا يمكن ملاحظته وكشفه كأن نقول: إن هذه الرواية نسقها الذي يولد توالي الأفعال فيها"[2].

يعرف الدكتور شاكر مصطفى سليم في قاموس الأنثروبولوجيا الاجتماعية "النسق هو مجموعة من العادات والعلائق والتفاعلات الاجتماعية الاعتيادية بين أفراد المجتمع الذين يرتبطون بصلات متبادلة ضمن إطار حضاري معين ويتكون النسق من مجموعة النظم الاجتماعية المتكاملة والمترابطة والمنسقة"[3].

يشير تيما شيف إلى أن النسق "هو ذلك الكل المركب الذي تترابط فيه الأجزاء و تتكامل حول نواة مركزية"[4].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مج6، دار صادر، ط1، بيروت – لبنان، سنة 1917، ص179.

[2] إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، مج1، المكتبة الإسلامية، (د ط)، اسطنبول – تركيا، (د ت)، ص918، 919.

[3] عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، الدار العربية للعلوم، ناشرون منشورات الاختلاف، ط1، 2010، ص140.

[4] المرجع نفسه، ص144.

الفصـــل الأول

الفصل الأول: التأويل والنقد الثقافي عند الغذامي

تمهيد:

مما لا شك فيه أن طرح الإشكالية و التساؤل والبحث عن الغائب أو المغيب و المهمش و المندس والمخفي وغير الظاهر والمبطئ يؤدي إلى نتيجة ما، وعلى هذا الشكل جاءت دراسة عبد الله الغذامي في كتابه "النقد الثقافي – قراءة في الأنساق الثقافية العربية". نجده قد افتتح دراسته بمقدمته تعج بالتساؤلات عن ما إذا كانت:

-" الحداثة العربية حداثة رجعية...؟ "[1].

-" وهل في ديوان العرب أشياء أخرى غير الجماليات...؟ "[2].

يسير الغذامي في دراسته بنفس الصيغة في الفصول، وهو ما نجده فاتحة للفصل الأول بسؤال عما إذا كان:

-" في الأدب شيء آخر غير الأدبية ؟ "[3].

وهو السؤال المركزي و جوابه هو الفحوى والجوهر الفاعل في مشروعة "النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية، هذه الدراسة التي "جاءت لتكشف أشياء أخرى من وراء ومن تحت أدبية الأدب"[4].

وذلك باستبدال العمل الأدبي من وجهة النظر الجمالي للنصوص إلى النظر و الوقوف على الشفرات الثقافية التي تحكم العمل الأدبي ومدى فعاليتها وتأثيرها على الذهنية، هذه النظرة الجديدة في دراسة عبد الله الغذامي "تستخدم أدوات النقد في مجالات أعمق وأعرض من مجرد الأدبية، مجال ما وراء الأدبية"[5]، هذه الدراسة التي جاءت لكشف وتعرية ما تحت الأقنعة الحبالية المتصنعة لتمرير غايتها في صورة جمالية محبوكة للترغيب وتحبيب المقبل عليها دون تراجع هذه الجمالية التي دفعت عبد الله الغذامي إلى التساؤل و الإستفهامات العديدة، ومما

---

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط3، 2005م، ص7.

[2] المرجع نفسه، ص7.

[3] المرجع نفسه، ص13.

[4] المرجع نفسه، ص13.

[5] المرجع نفسه، ص13.

لاشك فيه أنه خرج في نهاية المطاف بنتيجة ما، وهي لحل والجواب لطرح، سؤاله هذا ما أدى بالناقد إلى إجراءات نقدية أو ما يمكن تسميته بالنقلة النقدية أي تحويل الأداة النقدية من البحث في النظرية الأدبية – أي ما تفرضه المؤسسة وجعل منه أدبا راقي– إلى البحث في الخطابات المنسية و المهمشة والغير مؤسساتية وذلك كون كل "الأنماط التعبيرية...مكتنزة بالطاقات المجازية و الكنائية و الترميزية وتتحرك ضمن أنساق عميقة وخطيرة، والشاهد على ذلك هو في طاقتها التأثيرية الهائلة"[1] ولكشف وتعرية المعاني وفك الترميز وتفجير المعاني والدلالات المخفية والمبطنة يستوجب الغذامي الانتقال بالأدات النقدية

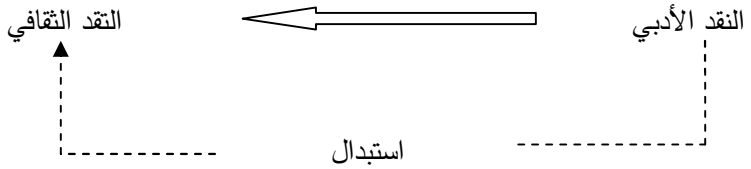

وفي هذا يقول الغذامي: "نحن بحاجة إلى نقلة نقدية نوعية لمس السؤال النقدي ذاته، ولكن ذلك لن يتحقق ما لم تتحول الأداة النقدية ذاتها أيضا"[2]. نفهم من قول الغذامي أن تحرير الأداة من ما هو أدبي إلى ما وراء ذلك وأوسع بكثير، هذه الرؤية الجديد التي يريد أن يصل إليها الغذامي لا تتحقق إلا من خلال" إجراء تحويلات وتعديلات في المصطلح لكي يؤدي المهمة الجديدة"[3].

طرح الناقد عبد الله الغذامي طريقته في مقاربة الخطاب الأدبي في كتابه النقد الثقافي وذلك من خلال التخلي عن مصطلح الأدبية أي ما تفرضه المؤسسة وما تجعل منه أدب راقي إلى استحضار الجديد و الأفضل والأوسع و الأتقن وهو النقد الثقافي لدراسة ما هو غير راقي وذلك من خلال عدد من الإجراءات أو النقلات مست:

- " نقلة في المصطلح النقدي ذاته.
- نقلة في المفهوم (النسق).
- نقلة في الوظيفة.

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافية العربية،مرجع سابق، ص61.

[2] المرجع نفسه، ص60.

[3] المرجع نفسه، ص62.

- نقلة في التطبيق"[1].

مركزا في ذلك على عملية الانتقال النوعي الذي يمس الأداة والموضوع معاً. والذي سيمس أيضا آليات التأويل و طرائق اختيار المادة المدروسة بدءا من أساليب التصنيف ذاتها والتعرف على النصوص والعينات التي كان يتحكم بها الشرط الأدبي بمعناه المؤسساتي[2].

1-النقلة في المصطلح النقدي ذاته

حضيت النقلة الاصطلاحية بأهمية كبيرة لدى الغذامي، تمثلت في أولويتها على بقية النقلات، بالإضافة إلى توسيع الدراسة فيها إلى ستة أساسيات اصطلاحية شكلت المنطق النظري والمنهجي لمشروع النقد الثقافي وتحرره من النقد البلاغي، فَصَّلَ الناقد هذه العناصر في دراسته على النحو التالي:

1-1 عناصر الرسالة (الوظيفة النسقية)

انطلق الغذامي في دراسة هذا العنصر من نموذج ياكويسون الاتصالي في وظائف اللغة من ستة عناصر المرتبطة بوظائفها الستة إلى اكتساب اللغة وظيفة سابعة وهي الوظيفة النسقية التي شملت العنصر النسقي، وذلك كون "كافة أنماط الاتصال البشري تضمر دلالات نسقية، تؤثر على كل مستويات الاستقبال الإنساني في الطريقة التي بها نفهم والطريقة التي بها نفسر، والنصوص التي لا تسمى عادة بالأدبية هي الأكثر انفعالا مع الوظيفة النسقية"[3].

ويكون النموذج الاتصالي معه بعد إضافة العنصر النسقي كالآتي:

[1] المرجع نفسه، ص62.

[2] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافية العربية، مرجع سابق، ص63.

[3] المرجع نفسه، ص65.

النموذج الاتصالي بعد إضافة العنصر السابع[1].

بعدما أضاف الغذامي العنصر النسقي والذي هو مبدأ النقد الثقافي وأساس التحول النظري والإجرائي نتج عنه الوظيفة النسقية التي تتحكم فينا وفي خطاباتنا، من خلال صورة الجمالية و الإغرائية، وبهذا يكون النسق الوسيلة المنهجية والمنطلق النقدي في مشروع الغذامي النظري، فهو بهذه الطريقة تنتقل قراءة من النظر في الجماليات التي تغزو النص بل تكون القراءة على مستوى أبعد وذلك بالتعمق أكثر متن النص والبحث في أنساقه الثقافية المضمرة ودراستها ومعالجة ما هو مضمر فيها.

1-2المجاز والمجاز الكلي

وهو ثاني عنصر من بين العناصر الذي تطرق إليها في أول مرحلة إجرائية وهي النقلة في المصطلح النقدي ذاته، حيث ينقد الغذامي المجاز البلاغي الذي يكون في مفرد أو جملة ولا يتجاوز للخطاب ويقترح مفهوم ثقافي للمجاز يوسع من مجاله في الاستعمال النقدي ليكون أكثر وعيا بالفعل النسقي وتعقيداته ويكون المجاز عنده ذا بعد كلي حاملا بعدين، أولهما" حاضر ومائل في الفعل اللغوي المكشوف، وهو هذا الذي تعرفه عبر تجلياته العديدة الجمالية"[2]، وهو ما يترأ لنا من خلال القراءة الأولية وتتوصل إليه من فهم وتأويل و حاضر من خلال اللغة دائما، أما بالنسبة للبعد الثاني فهو" يمس المضمر الدلالي للخطاب، هذا المضمر الفاعل والمحرك الخفي الذي يتحكم في كافة علاقاتنا مع أفعال التعبير و حالات التفاعل، وبالتالي فإنه يدير أفعالنا ذاتها ويوجه سلوكياتنا العقلية والذوقية"[3].

هذا البعد الثاني هو ما ركز عليه الغذامي في دراسته لكونه مضمر وخفي ومع ذلك له تأثير واضح وجلي على مستوى تصرفاتنا وتوجيهه لأفكارنا ورغباتنا دون وعينا له وذلك لقدرته على التستر وراء قناع الجمالية في الخطاب، وبتأكيد تكون الرغبة فيما هو جميل ويتم إتباعه دون فرز مكوناته، وهو ما يضمنه الازدواج الدلالي الأخطر في الخطاب الثقافي وهو ما يستوجب كشفه وتأويله لدى الغذامي ولهذا نجده عمل على إضافة العنصر النسقي ليعمل على " توسيع مفهوم المجاز ليكون مفهوما كليا لا يعتمد على ثنائية الحقيقة، المجاز ولا يقف عند

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافية العربية، مرجع سابق، ص66.

[2] المرجع نفسه، ص62.

[3] المرجع نفسه، ص62.

حدود اللفظة والجملة بل يتسع ليشمل الأبعاد النسقية في الخطاب وفي أفعال الاستقبال، فإننا نقول بمفهوم المجاز الكلي متصاحبا مع الوظيفة النسقية للغة"[1]، إن توسيع وتمديد مساحة مفهوم المجاز عند الغذامي إلى أعمق من مفردة أو جملة بل إلى ما يفرزه العنصر النسقي من وظيفة نسقية و تموضع التأثير الثقافي على مستوى الخطاب. وهو ما يهدف إليه الغذامي في دراسته في النقد الثقافي كبديل عن النقد الأدبي.

1-3التورية الثقافية

يرث الغذامي مصطلحات البلاغة القديمة ويستثمرها ويحاول توسيعها فيما يخدم مشروعه الجديد النقد الثقافي المعني بالمضمرات النسقية وهذا ما يتجسد في استناده في العنصر الثالث إلى مجال البلاغة لأنها " تعنى بالظواهر التعبير المقصودة فعليا في صناعة الخطاب وفي تأويله"[2].

نقل مصطلح التورية من البلاغة إلى النقد الثقافي ليتخذ تسمية جديدة وهي التورية الثقافية وهو ما يتماشى مع مشروعه الجديد وتكون التورية الثقافية مع الغذامي هي الانتقال من مجال الازدواج الدلالي المركب من المعيين القريب والبعيد وهو الحال مع حركة الأنساق الثقافية وبعديها إلى "ما يدل حال الخطاب إذ ينطوي على بعدين أحدهما مضمر ولا شعوري ليس في وعي المؤلف ولا في وعي القارئ"[3].

تعمقت دراسة الغذامي المعلن والمضمر الخفي وتمثلهما في الأنساق الثقافية إلى دراسة المضمر ولا شعوري، والذي هو من فعل الثقافة في القارئ "...لم يكتبه كاتب فرد، ولكنه وجد عبر عمليات من التراكم...حتى صار عنصرا نسقيا يتلبس الخطاب...والكشف المنهجي عنه يتطلب أدوات خاصة تأتي التورية في مقدمتها، لكن بمعنى(التورية الثقافية)"[4].

نستنتج أن الغذامي يتخذ من التورية الثقافية أداة نظرية كاشفة للمضمر واللاشعوري النسقي في الخطاب الأدبي.

---

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافية العربية، مرجع سابق، ص68.

[2] المرجع نفسه، ص62.

[3] المرجع نفسه، ص71.

[4] المرجع نفسه، ص71.

1-4نوع الدلالة (الدلالة النسقية)

الدلالة النسقية هي دلالة تتبع الوظيفة النسقية التي أضافها الغذامي لوظائف الاتصال والتي من خلالها يتم كشف وتعرية مفهوم الأنساق داخل الخطابات الثقافية ومدى تأثيرها على تفكيرنا.

هذه الدلالة النسقية لن تنشأ دفعة واحدة بل تكونت وتشكلت في الزمن البشري تدريجيا فهي " ترتبط في علاقات متشابكة نشأت مع الزمن لتكون عنصرا ثقافيا...فاعلا"[1]، يتجسد مدى مفعولها في تأثيرها على أفكارنا و إتباعا لها دون كشف جمالياتها التي تحتوي هي الأخرى على قبحيات، ومن خلال دراسة الدلالة النسقية يتم كشف ومعرفة مدى مفعول النسق وكيف تم تمريره داخل الخطابات الثقافية وتكون هذه الدلالة النوع الثالث بعد الدلالات التي سبقتها ويكون تصنيفها في الأخير كالتالي:

1-الدلالة الصريحة، وهي عملية تواصلية.

2-الدلالة الضمنية، وهي أدبية جمالية.

3-الدلالة النسقية، وهي ذات بعد نقدي ثقافي، وترتبط بالجملة الثقافية[2].

يسعى الغذامي من خلال هذا التصنيف الدلالي إلى ضرورة التسليم بوجود الدلالة النسقية التي من خلالها يتم كشف وتعرية مدى الفعل النسقي على أفكارنا وأفعالنا من خلال تمريره داخل الخطابات في صورتها الجمالية.

1-5الجملة النوعية (الجملة الثقافية)

قام مشروع النقد الثقافي عند عبد الله الغذامي، على أساس الجملة الثقافية وهي 3مفهوم يمس الذبذبات الرقيقة للتشكل الثقافي الذي يفرز صيغة التعبيرية المختلفة"[3]، فالجملة الثقافية تتشكل عبر الزمن من خلال فعل الثقافة بمعناها الأنثروبولوجي وهي آليات الهيمنة من خطط وقوانين وتعليمات وهذا ما يجعل حياة الإنسان مجرد سلوك متبع ومقيد وهو ما سار عليه النقد الأدبي على عكس ما يجب أن يكون عليه من حرية في التفكير والتدبر والتجديد المستمر في عملية البحث والمناهج الجديد التي تكشف ما غفل عليه الأوائل ومعالجته وهو ما جاء به

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافية العربية، مرجع سابق، ص62.

[2] المرجع نفسه، ص73.

[3] المرجع نفسه، ص73.

مشروع النقد الثقافي مكان النقد الأدبي، وذلك من خلال معالجته للخطابات عن طريق كشف أنساقها الثقافية هذه الأخيرة التي تمرر غايتها في صورها الجمالية، مما يؤثر على متلقيها بالإعجاب والإتباع وهنا يظهر عمل النقد الثقافي في نقده لهذه الصور الجمالية وكشف القبحيات فيها من خلال كشف وتعرية ما تحويه أنساقها الثقافية، إذا فالدلالة تستعين في تشكلها من الجملة الثقافية ويتم الكشف عن هذه الدلالة النسقية عبر العنصر النسقي في الرسالة –التي يحويها الخطاب–.

1-6المؤلف المزدوج:

حسب رؤية الغذامي أن النقد الثقافي لا يتحقق إلا بوجود الشرط في الفعل النقدي الثقافي وهو النسق الثقافي هذا الأخير الذي يضم المضمر الدلالي وفيه تتناقض معطيات الخطاب سواء ما يقصد المؤلف أو ما هو متروك لاستنتاجات القارئ أي أن المؤلف المعهود يحمل صبغة ثقافية تنطبع في خطابه هذه الثقافة ليست في وعيه ولا في وعي الرعية الثقافية ما يجعل معطيات الخطاب تتناقض، هذا ما يدل على وجود رأيين أو "مؤلفين اثنين أحدهما المؤلف المعهود...كالمؤلف الضمني والآخر هو الثقافة ذاتها أو ما أرى تسميته هنا بالمؤلف المضمر وهو توع من المؤلف النسقي"[1]، ولهذا نجد الغذامي يلجأ إلى مصطلح المؤلف المزدوج بغيت الإشارة ، أن عامل الثقافة يتماشى والمؤلف المعهود مما يسمح لهذه الأنساق بأن تتغلغل و تنغرس و تنطبع أنساقها في المؤلف دون وعيه أو إرادة منه.

إن مسير الثقافة مع المؤلف المعلن عله والمعهود والتي يمكن الإشارة إليهما بالوجهين للورقة الواحدة بحيث لا يمكن فصلها وفك وجهيهما هذا ما أدى بالناقد عبد الله الغذامي إلى أن في الخطاب الواحد مؤلفين اثنين هما مؤلف معهود ومعلن عليه ومؤلف مضمر هو الثقافة، مما جعله يصرح الازدواجية في التأليف حيث قدم فكرته في شكل مصطلح جديد في مشروعه النقد الثقافي وهو ما تطرقنا إليه في هذا العنصر، وهو المؤلف المزدوج.

2- في المفهوم (النسق الثقافي)

استحوذ النسق في مشروع عبد الله الغذامي على الحصة الأكبر وهذا ما نجده في كل صفحات الكتاب، كما درسه في عنوان خاص وهو ما تطرقنا إليه المفهوم (النسق الثقافي) كونه

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص75.

أحد النقاط الأساسية التي تطرق لها مشروع الغذامي الثقافي وهو "قراءة في الأنساق الثقافية العربية".

استهل هذا العنوان بمجموعة من التساؤلات هي:

- ما المنسق الثقافي...؟
- وكيف نقرؤه...؟
- وكيف نميزه عن سائر الأنساق...؟

يطرح الغذامي رأيه حول النسق متجاوزا بذلك الأفكار التي سبقته في معنى النسق، من ما كان على نظام واحد، أو ما كان مرادفا لمعنى البنية أو النظام إلى طرح "(النسق) كمفهوم مركزي في مشروعنا النقدي، ومن ثم فإنه يكتسب عندنا قيما دلالية وسمات اصطلاحية خاصة"[1]، بعد هذا القول انطلق الغذامي في تحديد مفهوم النسق من خلال قوله "يتحدد النسق عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد، و الوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقصا وناسخا للآخر...ويشترط في النص أن يكون جماليا...وإنما الجمالي هو ما اعتبرته الرعية الثقافية جميلا"[2].

وبهذا يستبعد الغذامي (الردى و النخوة) عبر الشرطي الجمالي والجماهيري ويستبعد التناقضات النسقية.

إذا مشروع الغذامي النقدي يكشف حيل الثقافة في تعزيز أنساقها الخفية تحت الحيلة الجمالية، وهي أخطر الأنساق وأكثر ما تحكم فيه فينا وهو ما يؤكده الغذامي في قول أن "أمر كشف هذه الحيل يصبح مشروعا في نقد الثقافة وهذا لن يتسنى إلا عبر ملاحقة الأنساق المضمرة ورفع الأغطية عنها"[3].

كما أن يضيف الغذامي على تحديد النسق عبر وظيفته نقطة أخرى وهي الأهم والأسبق في تحديد وظيفة النسق وهي قراءة النصوص قراءة خاصة "هذا يقتضى إجرائيا أن نقرأ

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافية العربية، مرجع سابق، ص89.، ص77.

[2] المرجع نفسه، ص77.

[3] المرجع نفسه، ص77.

النصوص والأنساق التي تلك صفتها قراءة خاصة، قراءة من وجهة نظر النقد الثقافي، والنص هنا ليس فحسب نصا أدبيا وجماليا، ولكنه أيضا حادثة ثقافية"[1].

وبهذا تكون الدلالة النسقية أداة لكشف وتأويل ما هو خطير ومختبئ تحت الأنساق في صورة جمالية (جماهيرية)، وهذا من خلال النقد الثقافي الذي لعب دور الكاشف للأنساق الثقافية من خلال شروط (المضمر الدلالي، المؤلف المزدوج...) والتي تدرس النصوص ذات الدلالة النسقية فقط "وبما أنه كذلك فإن الدلالة النسقية فيه سوف تكون هي الأصل النظري للكشف والتأويل"[2].

3- في وظيفة النقد الثقافي:

إن التطور الملحوظ في مرحلة الما بعد انطلق من أفكار القارئ هذا القارئ الفاحص الدقيق الذي انحنى عن المسار الذي كانت تجذبه جماليات النص، ويعد عبد الله الغذامي أحد النقاد والقراءة الفاحصة والمتمعنة الدقيقة الذي تفطن إلى نقد الجماليات وكشف القبحيات فيها، هذا ما أدى إلى الارتقاء بمجال النقد من نقد النصوص إلى نقد الأنساق هذه الأخيرة والحظيرة التي تلف في طياتها غايات وأهداف تفرضها المؤسسة ولكن في أبهى صورها الجمالية كي تجذب القارئ نحوها دون شك فيها فقدرتها على جذب وجلب الحقول دون نقدها والتفطن لعملها المضمر داخل النصوص ولهذا "تأتي وظيفة النقد الثقافي من كونه نظرية في نقد المستهلك الثقافي (وليست في نقد الثقافة هكذا بالإطلاق أو مجرد دراستها ورصد تجلياتها وظواهرها)"[3].

وبهذا يكون عمل النقد الثقافي عند الغذامي "هو نقد للمتن الثقافي والحيل النسقية التي تتوسل بها الثقافة لتعزيز قيمتها الدلالية"[4].

لذا النقلة في الوظيفة التي جاء بها الغذامي وظيفة النقد الأدبي وانتقاله من نقد النصوص إلى النقد الثقافي، القراءة ونقد الأنساق الثقافية هذا النقد الذي "يكشف لا الجمالي، كما هو شأن النقد الأدبي، وإنما همه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي/الجمالي"[5].

---

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافية العربية، مرجع سابق، ص77.

[2] المرجع نفسه، ص78.

[3] المرجع نفسه، ص81.

[4] المرجع نفسه، ص82.

[5] المرجع نفسه، ص84.

4- نقلة في التطبيق

انتقل النقد في مرحلة المابعد من النقد الأدبي المتخصص في دراسة جماليات النصوص إلى نقد الثقافي الذي تولى "البحث في المضمرات النسقية التي تشتغل من داخل خطاباتنا دون أن نعيها"[1].

هذه المرحلة الانتقالية أثبتت طريقة تطبيق النقد الثقافي على الخطاب وذلك من خلال دراسة الأنساق الثقافية المضمرة المتستر بالجماليات لتكون أكثر جاذبية وإتباع وهذا ما تفرضه المؤسسة ولهذا وجب علينا الاعتراف بأن للنقد الثقافي الفضل في محاولة التعرية والكشف عن ما هو متستر ومختفي عن طريق عمل الأنساق وما تضعه من مخاطر وفي هذا يقول الغذامي:" إنها صناعة نسقية ثقافية تتبع نموذجا قابلا للاحتذاء سياسيا واجتماعيا وهذا ما حدث فعلا في غفلة النقد"[2].

هنا يكون الاعتراف بأفضلية عمل النقد الثقافي أمرا إجباريا علينا في كشف وتعرية أمر الأنساق المهيمنة على عقولنا وهو ما أراده الغذامي في مشروعه النقدي معتمدا في ذلك على هذه الطاقة "النقدية الأدواتية والنظرية الراقبة مصحوبة بخبرة متطورة في قراءة النصوص"[3].

أراد الغذامي من هذا القول أن يثبت مدى تلاحم وتلازم تطبيق النقد الثقافي على الخطاب لكشف أمر الأنساق ومدى فعاليتها من داخل الخطابات في صورتها الجمالية أن أمر تطبيق النقد الثقافي على الخطاب يستلزم حضور خبرة القارئ وما ينتج عنها من تأويل، وبهذه الطريقة فهو يضح لنا شرط قراءة النصوص والخطابات فهو يريد أن يطلعنا بطريقة صحيحة يجب الاعتماد عليها للحصول على تفسير وتأويل وكشف وفك وتعرية مدى وجود الأنساق داخل الخطاب ومدى تمرير فعالياتها الخطيرة من داخل الخطابات، ولهذا نجده يطبق طريقته على النصوص الشعرية العربية "لأن الشعر ذاته متلبس تلبسا نسقيا لم نبذل جهدا كافيا لكشفه"[4].

ولهذا نجد الناقد عبد الله الغذامي يتفطن لغفلة النقد الأدبي، واعترافه بما هو جمالي دون كشف مدى تشكل جماليته ومناقشتها وهو ما تفرضه المؤسسة وهذا ما جعله يتطرق للبديل من

---

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافية العربية، مرجع سابق، ص87.

[2] المرجع نفسه، ص88.

[3] المرجع نفسه، ص89.

[4] المرجع نفسه، ص87.

أجل قراءة فاحصة قادرة على تفسير وتأويل ما تضمه الخطابات، فقد وجد إجحافا كبير في عمل النقد الأدبي، ولهذا نجده يضع البديل وهو النقد الثقافي، لقراءة الأنساق الثقافية لكشف وتأويل عملها من داخل الخطابات.

02- أنواع الأنساق:

تطرق الغذامي لأنواع الأنساق تحت عنوان في التطبيق (أنواع الأنساق) حيث تنوعتا بين الأنساق الأصول والأنساق الهامشية

2-1الأنساق الأصول:

أراد الغذامي من خلال هذا النوع من الأنساق أن يبرر مدى أهمية "الأصل" في الأشياء وأهمية الرجوع إليه، حيث استخدم هذه الكلمة كونها تعمل "كدال رمزي على منظومة من الصفات الجامعة التي تختبئ في المضمر"[1]، ومن خلال البحث في أصول الأشياء يتم الكشف عن ما هو مخبوء في المضمر النسقي، فكل عبارة لها مدلول نسقي حيث يتم استحضاره من خلال الصفات المتوخاة فإن وجدت صارت تعني ما وضعت لأجله كما مثلها الغذامي:"فلان ابن أصول أو (ما عنده أصل)... و فلان رجال(ما هو رجّال)... و هذه كلها مترادفات تشير إلى مدلول واحد هو النسق الثقافي"[2].

تمثل الأصول في الأنساق "كنموذج يقاس عليه ويجرى الالتزام بهذا الأصل والاحتكام إليه كدليل وموجه اجتماعي وسلوكي"[3]، أي أن الأنساق تغلغلت وترسخت وانغرست في العمق الثقافي وأصبحت بمثابة الأصل الذي يحرك ويتحكم في أفعال المجتمع التي تجعل منه آلة تحركه كيفما تريد فهو سجين لأفكارها وغايتها، ومن هنا يبدأ عمل النقد الثقافي بعملية البحث في المضمرات النسقية وكشفها من داخل الخطابات دون أن نعيها والتي "يقوم استخدامنا لها على التكرار المستمر فإننا أيضا تقوم بتكرار وإعادة تمثيل القيم الذهنية المترسخة في اللغة دون أن نعي ذلك"[4].

---

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافية العربية، مرجع سابق، ص85.

[2] المرجع نفسه، ص85.

[3] المرجع نفسه، ص85.

[4] المرجع نفسه، ص86.

أشار عبد الله الغذامي إلى أحد الأصول النسقية في ثقافتنا العربية وهو نسق (الشخصية الشعرية) الذي ظل يسيطر علينا وان "السيمات الشعرية قد طبع ذاتنا الثقافية والإنسانية بعيوب النسقية فادحة مازلنا ننتجها ونعيد إنتاجها ونتحرك حسب شرطها ولعلها هي المسئولة عن كثير عوائقنا الحضارية"[1]، ومن خلال قول الناقد عبد الله الغذامي نفهم أن الأنساق الأصول هي التي تتحكم في أفكار المجتمع وتسيره فهي "أصل" أو النموذج المتبع أو الطريق الذي يهتدي إليه.

جاء الغذامي بالنقد الثقافي لتحليل الأنساق كاشفا عن عيوبها التي تورثناها عبر الأجيال والتي فعلت فعلتها كجرثومة تتستر بالجماليات من داخل الخطابات الشعرية وفي هذا يقول:" لقد تشعرنت النساق وصرنا فعلا الأمة الشاعرة واللغة الشاعرة، ولكن فرحنا وتباهينا بهذه الصفات ليس سوى خدعة نسقية لم نع ضررها"[2].

2-2-الأنساق الهوامش

مثلت صورة الأنساق الهوامش موقف معارض لصورة الأول وهي "الأنساق الأصول"، فإذا كانت الأولى مثلت نسق الشخصية الشعرية في الثقافة العربية فإن الأنساق الهوامش تمثلت في القصص المروية سردا يقول الغذامي:" أنساق الرفض والمعارضة نجد أمثلة منها في القصص المروية في حكايات الشعراء وأخبارهم وهي قصص ليست حقيقية وهذا هو ما يمنحها قيمة ثقافية... مستعينة بالسرد لكي تتكلم عن الهامش والمغفول عنه"[3].

من خلال قول الغذامي نصل إلى صراع حول ثنائية الأنساق الأصول والهوامش وهو ما تمثل في صورة الشعر والسرد كما يمكن القول عنه أيضا المعلن عنه والمسوق له في مقابل المغفول عليه، وهذا ما يبرر مدى المقاومة التي خاضها الشعر للهيمنة على تاج السلطة مع نضيره السرد، إلا أن ضوء هذه الثنائية الضدية ما بين الأصول والهوامش التي كشف عنها النقد الثقافي يقول الغذامي" إنها صناعة لنسقية تنتج نموذجا قابلا للاحتذاء سياسيا واجتماعيا، وهذا ما حدث فعلا في غفلة من النقد الذي ظل يطنطن عن الشاعر واللغة الشعرية والتعالي

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافية العربية، مرجع سابق، ص87.

[2] المرجع نفسه، ص88.

[3] المرجع نفسه، ص89.

المجازي... وما شابه ذلك من لغة النقد التبريرية، مما هو قول في ظاهره صحيح غير أنه سمح لخراب كبير يمر غير ملحوظ، وغير منقود"[1].

أراد الغذامي قوله أن يثبت بأن الاحتذاء بالشعر دون غيره – النثر– هو مجرد صناعة نسقية ثقافية من خلال الصورة الجمالية التي صنعت من أجله لكي تكون حجة تبرر لإتباعه دون سواه وفي ظل هذه الصورة كانت هناك غفلة عن النثر هذا ما أهمله النقد الأدبي وتطرق إليه النقد الثقافي، هذا الأخير استطاع أن يجمل في دراسة ما درسه النقد الأدبي وما غفل عليه أو أهمله إلا أن ما لم يتطرق له النقد الأدبي كان متعمدا نسيانه والغفلة عليه في مقابل التسويق للشعر ما جعله يكتسب في مقابل ذلك "حصانة وقداسة جعلت نقده ضربا من المحرمات الثقافية بحجة تعالي الشعرية وخصوصيتها وتفردها"[2].

من خلال ما تطرق له الغذامي في أنواع الأنساق (الأصول والهوامش) وتفطنه لفكرة المهمش والمغفول عنه بدل من الأصول المترسخة من خلال تمثلها في الخطاب، نتوصل لخلاصة مفادها أن مشروع الغذامي النقدي – النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية– تركز على الأنساق بصفة خاصة، أدى إلى كشف ما تحويه من رموز وشفرات، تبنى الغذامي تحليلها وتشريحها بغية الوصول إلى التأويلات التي تمكن النسق من إخفائها خلق أقنعة الجمالي والتي أقتنع الوعي الجمعي بها، إلا أن ما توصل إليه الغذامي من آراء وأكد عليه بأنه كلام ظاهري وله ما يقابله من معاني خفية، تلك هي الممارسة التأويلية التي كشفت ما تخفيه الأنساق الأصول وتغفل النظر عنه وتجعله هامشي و مغفول عنه، مثل ما جرى الحال مع الشعر والسرد.

درس الغذامي أنواع الأنساق أيضا في الفصل السادس من مشروعه "النقد الثقافي" تحت عنوان (النسق المخاتل/ الخروج على المتن)[3].

حيث أورد قصة في خطاب الجاحظ كمثال يوضح لنا العلاقة بين المتن والهامش يقول: "وسنتخذه من ذلك دلائل لنا في تفهم وسائل المعارضة الثقافية في مواجهة المتن ومقاومة

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافية العربية، مرجع سابق، ص89،88.

[2] المرجع نفسه، ص89.

[3] المرجع نفسه، ص 221.

محاولة تهميشها وإسكاتها"[1]، جاءت الحكاية في كتاب العصا أحد مباحث الجاحظ في كتابه البيان و التبين عن امرأة أعرابية اسمها (غنية) ولها ابن شديد الصرامة كثير التلفت إلى الناس، واثب مرة فتى من الأعراب فقطع أنفه فأخذت غنية دية أنفه، ثم واثب آخر فقطع أذنه، وواثب آخر فقطع شفته، وفي كل مرة كانت غنية تأخذ الدية حتى صار عندها من الإبل والغنم والمتاع والكسب بجوارح ابنها حتى قالت فيه أرجوزة:

أحلف بالمروة يوما والصفا أنك خير من تفارين العصا [2]

يؤكد الغذامي أن للحكاية وجوها من التأويل وذلك بشرط دراستها من الجانب الغير ظاهر والذي جاء به "الجاحظ يقول في علنه إنه يستطرد لكي يسلب القارئ ويزيل عنه الملل، غير أننا نجد من المبررات ما يكفي لكي نتساءل عن وظيفة الاستطراد عنده، وعما إذا كان الهدف أبعد من الدعوى المعلنة"[3].

من خلال ما جاء في قول الغذامي في تساؤله عن هدف الجاحظ من إعلانه عن إزالة الملل عن القارئ و اتجاهه نحو أسلوب آخر غير المعتاد، وهو (الاستطراد*) يؤكد لنا بأن غاية الجاحظ من الحكاية ليس كما هو ظاهر فقط، بل هناك الجانب المخفي منها من خلال طريقة الجاحظ في الكلام الملتوية (موارية*)، والتي أثبت للغذامي أن في أسلوب الجاحظ شيء من التعبير المبهم والمتلبس بنوع من المخاتلة والخداع، وهي طريقة النسق التي شرع الغذامي لدراسته من أجل كشفها وتأويلها.

وجد الناقد عبد الله الغذامي في الحكاية رموز أهمها "العصا" التي مثلت علامة نسقية (لها مفعول الكمال والتكميل في تحريك قريحة الخطيب فهي تمثلك قيمة و فحولية في زيادة لسان الخطيب وجسده)، إلا أن الجاحظ أورد الكلام عنها في عبارة (تفاريق العصا) وخنا يكمن السر، الذي دفع بالغذامي إلى استفهام أسلوب الجاحظ الذي يطرح الفكرة ثم ينفيها بمعناها، فإن كانت العصا كما وتكميل ما الذي دفعه للقول بتفاريق العصا، الذي في معناه "يشير إلى حال تهمشهما وفوائد هذا التهشم فكأنما ذلك إشارة إلى تفتت المتن إلى الهوامش"[4].

---

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافية العربية، مرجع سابق، ص224.

[2] المرجع نفسه، ص226.

[3] المرجع نفسه، ص234.

[4] المرجع نفسه، ص235.

من خلال قراءة الناقد عبد الله الغذامي نتوصل إلى تأويلات تكشف عن الفكرة التي أضمرها الجاحظ في ثنايا الحكاية يقول:" إن مشهد هذا الرمز الفحولي يتمزق كما تمزق وجه ابن غنية ويتحول إلى تفاريق، جعله عمليا أولا، ثم إنه أخرج الرمز من سياق المتن حيث المجد البلاغي للعصا إلى سياق آخر مغاير ومخالف وهو الاستطراد حيث يتكسر شرف العصا إلى جواسير تستعمل للكلاب"[1].

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافية العربية، مرجع سابق، ص235.

الفصـــل الثانـي

الفصل الثاني: الممارسة التأويلية عند عبد الله الغذامي

تمهيد:

انطلق الغذامي في قراءته للأنساق الثقافية، بغيت تشريحها والوصول إلى مكوناتها وإلى سبب ديمومتها مطبقا دراسته على الشعر العربي وصول بذلك إلى الشخصية العربية حيث وجد "في الشعر العربي جمال وأي جمال، ولكنه أيضا ينطوي على عيوب نسقية خطيرة جدا"[1]، يحاول الغذامي من هذا القول أن يطلعنا على نتيجة أفعال الأنساق من خلال النصوص الشعرية مشكلا في مدى جمالياته العظيمة ليصل بعدها إلى أنها تخبئ قبحيات عظيمة أيضا.

يسعى الغذامي إلى تشريح المكونات الأصلية للشعر العربي ليصل بها إلى المكونات الأصلية للشخصية العربية التي انطبع وترسخ الشعر عليها صورة طبق الأصل على ما يحويه من صفات كونه ديوان العرب وسجلهم الثقافي والحضاري، ولهذا كانت دراسته الشعر العربي هو الطريق الأمثل للوصول لإلى الشخصية العربية، لأن "الشعر هو أهم المقومات التأسيسية للشخصية العربية ورثنا حسناته وورثنا سيئاته"[2]، ولهذا سعى الغذامي إلى تشريح الأنساق الثقافية التي يرى فيها المكون الأصلي للشخصية العربية والتي تظهر في "شخصية الشحاذ والكذاب والمنافق والطماع من جهة، وشخصية الفرد المتوحد فحل الفحول ذي الأنا المتضخمة النافية للأخر من جهة ثانية هي من السمات المترسخة في الخطاب الشعري ومنه تسربت إلى الخطابات الأخرى، ومن ثم صارت نموذجا سلوكيا ثقافيا يعاد إنتاجه بما أنه نسق منغرس في الوجدان الثقافي"[3].

التفت الغذامي إلى أن الشعر سيكون ضرورة حتمية تنطبع على الشخصية العربية بما فيه إيجابيات أو سلبيات هذه الأخيرة هي نقطة البحث الذي يحاول الغذامي القبض عليها في

---

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافي العربية، ص93.

[2] المرجع نفسه، ص94.

[3] المرجع نفسه، ص93،94.

مشروعه النقدي وهذا لن يتم في نظره "إلا لو جرت عمليات نقد منهجي يشرح الخطاب ويكشف عيوبه"[1].

ولهذا نجده يلجأ إلى البديل عن النقد الأدبي وهو النقد الثقافي، الذي سيلعب دور الكاشف لعيوب النص الشعري من خلال القبض على الدلالة النسقية ولما هو خطير ومختبئ تحت الأنساق في صورتها الجمالية بالرغم من أن الشعر كان ديوان العرب وسجل تاريخها وعلمها وأخلاقها إلا أن فيه من الصفات ما يجعله أحد مصادر الخلل النسقي الذي سيؤثر على صفات الشخصية الثقافية لا محال، ومن هنا يستنتج الغذامي تنوع في الشخصية الثقافية:

أ-شخصية الشحاذ البليغ (الشاعر المداح).

ب-شخصية المنافق المثقف (الشاعر المداح أيضا).

ت-شخصية الطاغية (الأنا الفحولية).

ث-شخصية الشرير المدعي الذي عداواته بئس المقنني (الشاعر الهجاء)[2].

درس الناقد عبد الله الغذامي صورة الشخصية الثقافية العربية من خلال مما تجسد و انغرس في الوسط الثقافي المزامن هذا ما غذى دراسته في تأويل وفهم الشخصية العربية الثقافية، من خلال أعمالها المتجسدة في الشعر، ومن هنا تم إبراز قيمة النقد الثقافي كإستراتيجية لفهم وتأويل الشخصية العربية الثقافية وذلك بمعية التشريح على مستوى الأعمال الشعرية، وكيف انطبعت على الشخصية ولهذا يقول "...سوف نسعى إلى تشريح الأنساق الثقافية التي أنها هي المكونات الأصلية للشخصية العربية التي صاغها الشعر صياغة سلبية/طبقية وأنانية، وتخلق من ورائها سلوكية وثقافية ظلت هي العلامة الراسخة في قديمنا وحديثنا"[3].

---

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافية العربية، مرجع سابق، ص98.

[2] المرجع نفسه، ص99.

[3] المرجع نفسه، ص94، 95.

ولتكون دراسة الغذامي أكثر وضوحا وعمقا لم يكتفي بالجانب التنظير فقط بل نجد في مشروعه النقدي "النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية" مستويين من الدراسة، مستوى نظري وآخر تطبيقي وهو ما سنتطرق إليه من خلال الشخصيات التي طبق عليها الغذامي الدراسة في شكل ممارسة تأويلية من خلال إبراز قيمة النقد الثقافي كإستراتيجية نقدية في قراءة الأنساق الثقافية وكشف وتعرية ما تحويه وما تظهر على الشخصية الثقافية العربية التي تصورها الغذامي في شخصية الشحاذ والمنافق والطاغية...

1-المتنبي

حضيا المتنبي بالاهتمام في دراسة شعره من طرف النقاد وذلك لجودة نظمه للشعر ما يسحر القارئ ويجذبه أو ما يخدم نفسية القارئ ولذلك نجده من اهتمامات النقاد والقدماء والمحدثين، وهو ما اختاره الغذامي محل دراسة لعمق أعماله الشعرية فهو "أول شاعر عربي يكسر طوق الاكتفاء والقناعة ويحول المحدودية إلى أفق لا يحد شعره للحركة، للحرارة، للطموح، للتجاوز، إنه جمرة الثورة في شعرنا"[1]، وهذا على حد قول أدونيس فيه.

اختيار الغذامي شخصية المتنبي كأول مثال تطبق عليه أو مارس عليه عملية التأويل من خلال النقد الثقافي، وذلك لمدى عمق أعماله الشعرية ومدى احتوائها على مضامين عدة وهذا ما سماه الغذامي بالنسق وهو النقطة المركزية التي يقوم عليها مشروعه النقدي، تناول هذه الشخصية من خلال عنوانين هما:

1-المتنبي مبدع عظيم أم شحاذ عظيم.

2-المتنبي النسقي.

يمكن تمثيل طريقة عمل المتنبي الشعرية من خلال رأي الغذامي في الشكل التالي:

[1] أدونيس مقدمة في الشعر العربي، ص57.

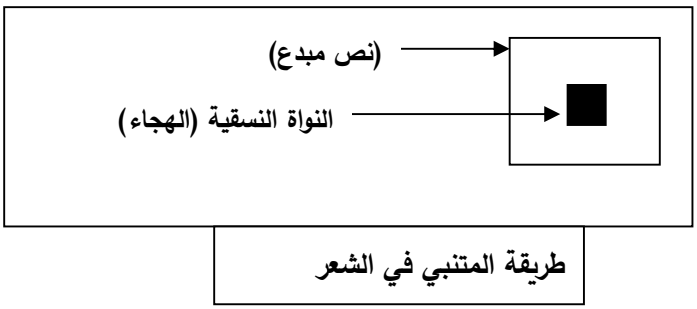

أراد الغذامي أن يوضح لنا من خلال هذا التمثيل بأن النسق ليس بالشيء الظاهر أو المصرح به من طرف صاحب العمل أو القول... وإنما هو ذلك المندس المختبئ المحفوظ بين العديد من العبارات أو مابين المطور السطور، وكأن به الكلام أو الغاية التي تهدف إليها وهو تمرير نكرة ما عبر النسق ولكنه لا يقدم جاهزا أو مكشوفا قابل محمي بغلاف خارجي وهي الطريقة التي يقدم بها أعماله الشعرية، ذات الجودة، والعمق، التي تسحر القارئ وتجذب نفسيته دون نقاش أعمالي أو التوصل إلى أفكاره، إلا أن الناقد عبد الله الغذامي ليس بالقارئ العادي بل هو القارئ الناقد الذي استطاع من خلال مشروعه النقدي وهو ما سماه بالنقد الثقافي أن يكشف عن أعمال المتنبي الشعرية ومدى احتوائها على الأنساق المضمرة متمكنا في ذلك من خلال قراءته التأويلية.

في دراسة الناقد عبد الله الغذامي لشخصية المتنبي من خلال أعماله الشعرية بدأ بتساؤل، ما إذا كان المتنبي مبدع عظيم أم شحاذ عظيم؟.

غايته من هذا التساؤل والذي هو عنوان لدراسة هذه الشخصية من خلال ما تجسد في أعماله الشعرية هو الكشف في عيوب هذه الشخصية العظيمة التي طال الإعجاب بها عبر العصور قديما وحديثا، ولهذا يطرح الغذامي سؤالا خاص يتجه به "إلى النسق الثقافي العربي كله، وهو النسق كان الشعر ومزال هو الفاعل الأخطر في تكوينه أولا وفي ديمومته ثانيا"[1].

يستنتج الغذامي أن صفة الشعر الحظيرة في تكوين النسق وديمومته هي سبب عيوب الشخصية العربية ذاتها "فشخصية الشحاذ والكذاب...من جهة وشخصية الفرد المتوحد فحل

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافي العربية،مرجع سابق، ص93.

الفحول ذي الأنا المتضخمة النافية للآخر، من جهة ثانية"[1]، كل هذه الصفات انطبعت و انغرست في الثقافة العربية الشعرية وغيرها من الأعمال الأدبية الأخرى، وصارت نموذجا سلوكيا ثقافيا يعاد انتاجه في كل الأعمال الأدبية هذا ما سماه الغذامي بأنه "نسق منغرس في الوجدان الثقافي"[2].

إن دراسة الناقد عبد الله الغذامي "للنسق" الذي انغرس في الثقافة العربية أدت به إلى الإجابة الوافية عن ما طرحه من تساؤل حول شخصية المتنبي فقد وجد "أن الاختراع الشعري الأخطر في لعبة المادح والممدوح قد جلبت معها منظومة من القيم النسقية انغرست مع مرور الزمن لتشكل صورة للعلاقة الاجتماعية فيما بين فئات المجتمع من ثقافة المديح التي تقوم أول ما تقوم على الكذب"[3].

يرى الغذامي أن هذا النوع من الشعر أصبح مرغوبا فيه بكثرة وهذا نتيجة اللعبة الجمالية الأكثر فاعلية في الشعر العربي فهو يقوم عن صورة المدح القائم على "خلاصة الصفات المخترعة شعريا وأنانيا مترفعا بذلك شروط الواقع والحقيقة"[4]، وهذا ما يجعله قائم على صفة الكذب ولكن ضمن عبارات جمالية ولهذا ما سماه الغذامي باللعبة الجمالية لأن فيها غاية لا يدركها إلا صاحبها أو القارئ الناقد لكاشف لما هو مخبوء ضمن الأنساق، وفي هذا يقول عبد الله الغذامي "إن قد صرفنا قرونا من الإعجاب و الاستمتاع بالشعر العربي وحق لنا إذ نفعل، وهو فعلا شعر عظيم ولا شك غير أن جمالياته العظيمة تختبئ قبحيات عظيمة أيضا"[5]، إن إدراك الغذامي بوجوب الارتقاء من الاستماع بالشعر العربي إلى دراسة جمالياته التي تخب قبحيات عظيمة أيضا هي دراسة نقدية فيها قفزة نوعية من الاستمتاع إلى دراسة الجماليات

[1] المرجع نفسه، ص93،94.

[2] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافية العربية، مرجع سابق، ص 94.

[3] المرجع نفسه، ص94.

[4] المرجع نفسه، ص94.

[5] المرجع نفسه، ص94.

وكشف العيوب وهذا من خلال كشف أنساقها الثقافية وتشريحها كونها هي المكون الأصلي للشخصية العربية ومن ثم يتم تأويل ما تحويه هذه الأنساق استنادا إلى المقصديات المعلنة والمضمرة، وفي هذا يقول الغذامي "لن نجد أكثر من المتنبي تمثيلا لروح الخطاب النسقي"[1]، وهنا يكون سبب الإعجاب بالشاعر لأن ذوق القارئ لشعره قد ترب على النسقية هذا ما سمح له بتمرير غايته ضمن الصور الجمالية.

يسعى المتنبي في ازدواجية أسلوبه الشعري إلى جذب و تحبيب وترغيب القارئ إليه من خلال المديح رغبة منه في العطايا وهذا حسب قراءة الغذامي.

يقصد المتنبي بهذا النوع من الشعر – المديح – الحكم رغبة في العطايا فهي صفقة متبادلة فالشاعر يصرح والحاكم يمنح العطايا مقابل صفات تعلي من منزلته عن طريق المدائح الشعرية مقابل بذل المال على المداحين هذا ما سمح له بأن يكون الشاعر الأكثر تمثيلا للنسق المضمر إلا أن هذه الصفة أدت إلى أن "تسلي من الخطاب صفات المعقولية والمنطق وتجرد اللغة من قيم الفعل والمسؤولية"[2]، وذلك من حيث وصف الممدوح بصفات لا تنطبق عليه تماما سواء في الصفة أو الفعل ولهذا يقوم شعر المديح على الكذب وذلك مقابل المال.

أكد عبد الله الغذامي أن شعر المتنبي، صورة لتمثيل النسق وذلك من خلال ازدواجية أسلوبه في الشعر، تمثلت هذه الازدواجية في أن الظاهر شعره جميل من خلال المدح والثناء على الممدوح إلا أن هذا المدح في مضمره ذم وسخرية.... ولكن يمررها عبر النسق المضمر بأسلوبه المزدوج وهذه الطريقة التي تغلب على جميع أعماله حسب قراءة وتأويل عبد الله الغذامي ولهذا نجده يقول: "...أننا هنا تؤكد أن هذا هو دينه في كل مدائحه حتى مع سيف الدولة، ولقد صرح المتنبي بأن المديح الشعري كذب، وأنه مزيج من الحق والباطل"[3].

---

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافية العربية، مرجع سابق، ص167.

[2] المرجع نفسه، ص168.

[3] المرجع نفسه، ص169.

دعم الغذامي قراءته عن المتنبي بهذا البيت الشعري ليكون أكثر تمثيلا وتبريرا لدراسته، يقول فيه المتنبي

-تجاوز قدر المدح حتى كأنه بأحسن ما يثن عليه يعاب [1]

وهذا البيت دليل على تجاوز المتنبي للصفات الحقيقة للمتنبي فقد يثنى على الممدوح حتى وإن كان معاب وهنا تصدق مقولته بأن المديح الشعري كذب ومزيج من الحق والباطل من خلال إظهار المدح والثناء عل الممدوح ونفس الوقت يضمر الاستهزاء والذم وهذه هي الصورة النسقية عند المتنبي، التي عمل بها الناقد عبد الله الغذامي على كشفها وتعريتها حسب قراءته و تأيله لأفكار المتنبي النسقي من خلال أعماله الشعرية.

لم يكتفي الناقد عبد الله الغذامي بمثال واحد لتمثل النسق في أعمال المتنبي الشعرية بل نجده في كل مرة يأتي بمثال ليدعم قراءته ويوسعها أكثر ليصل في الأخير إلى تأويل صحيح، وأكثر مثال يؤكد نسقية المتنبي ومدى قدرته على تمرير غايته عبر النسق الذي يخفى ويتستر "تحت أغطية كثيفة من بينهما الغطاء المجازي"[2] هو قصائده مع سيف الدولة مثل قصيدته (واحر قلباه) يقول فيها " إن كان يجمعنا حب لعزته ... فليت أنا الحب نقتسم"[3].

من خلال قراءة الغذامي وجد في جملة (حب لغرفته) أن المتنبي يقصد بها مدح سيف الدولة وإظهار مدى حبه له وهذا ما يفهم من ظاهر الشطر الأول إلا أن الغذامي تطرق إلى الشرح اللغوي للكلمة "وهي ما تعني: غرة المال، أي الخيل والجمال والعبيد بمعنى خيار المال"[4] وبما أن نوع القصيدة مديح وغايتها التطلع للعطايا، استطاع الغذامي أن يتوصل إلى تأويل غرض أو غاية المتنبي من خلال إجهاده في قراءة وفهم نسق المتنبي من خلال قصيدته (واحر قلباه) يقول: "مادمنا في حضرة خطاب مدائحي من صفته الجوهرية التطلع للعطاء المادي،

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافية العربية، مرجع سابق، ص169.

[2] المرجع نفسه، ص93.

[3] المرجع نفسه، ص 170.

[4] المرجع نفسه، ص170.

وليس الشاعر مأخوذ بالمحبة التي ظل يزدريها...وليست عنده أساس للإيداع ولا سببا له ما جاء إلى بلاط الممدوح إلا طلبا للعطاء"[1].

إن تعمق الغذامي في دراسته للأنساق تجاوز الدلالة الظاهرية ليبحث عن الدلالة الأعظم منها، أي المضمر ألنسقي، لفهم غاية المتنبي من هذا البيت وهو الرغبة في العطايا من خلال مدح سيف الدولة وإظهار حبه له في هذا البيت الشعري .

ومن هنا يمكننا القول بأن تأويل معاني الكلمات أو الجمل عند عبد الله الغذامي لم يعتمد على المعنى الظاهر بل تجاوزه إلى أعمق من ذلك إلى البحث عن المعاني المغيبة في المضمر النسقي، وعليه تطرق إلى الشرح اللغوي للمصطلحات وربط معانيه مع موقعها في الجملة ومع الغرض الشعري(المديح) الذي جاء فيه ليصل في نهاية قراءته إلى تأويل صحيح ومقنع وذلك من خلال الكشف وتعرية ما تخفيه الأنساق التي أسهمت بشكل كبير " في إصابتنا بالعمى الثقافي وشغلنا جمال التعبير عن عيوب النسق"[2] ، وهذا ما شغل اهتمام الغذامي وجعله محل بحثه من خلال تشريح وبحث وكشف أمر هذه الأنساق المغلفة بالجمال الشعري الخداع الذي يحوي بداخله حقائق عكس ما هو مبين للغلاف الخارجي وهي الصورة الجمالية التي من خلالها يتمكن الشاعر من مخادعة ومحالفة الوعي الذي أصبح ثقافيا " حيث يتوسل النسق بالبلاغة للمرور الغير مراقب والغير مرصود ، وهذه حيلة ثقافية نسقية خطيرة يلزمنا كشفها وتعريتها ".

يؤكد الغذامي من خلال قوله بلزوم كشف وتعرية حيل الأنساق معتمدا في ذلك على مشروعه النقد الثقافي والذي من خلاله استطاع التحرر من غفلة النقد الأدبي، هذا الأخير الذي أدي بدوره لغرس وتغلغل الأنساق فجعلها أمرا ثقافيا يحتذى به عبر الأجيال وذلك

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافية العربية، مرجع سابق، ص170.

[2] المرجع نفسه، ص176.

لانشغاله بالجماليات دون القبحيات وهو ما بحث عنه الغذامي عبر هذه الأنساق متمكنا في ذلك من خلال مشروعه النقد الثقافي والذي كشف أمر هذه الأنساق.

2- أبو التمام

تطرق الغذامي لشخصية أبو تمام تحب عنوان "العمى الثقافي (أبو تمام بوصفه شاعرا رجليا)"[1]، من خلال دراسات سابقة متناولا بذلك رأي الجرجاني وغرنياوم فيه من حيث الإعجاب والملاحظة النقدية في آن واحد وهذا ما أسهم في بروز شخصية أبو التمام في بروز شخصية أبو التمام من خلال ما يلاحظ على أعماله الشعرية وفي هذا يقول الناقد عبد الله الغذامي "أن اسم أبو تمام قارا في الضمير الثقافي على أنه رمز إحداثي فجر طاقات اللغة وواجه الأعراف وحطم عمود الأوائل"[2].

إن اختلاف الرأي حول أبو تمام بين الإعجاب بالجمالية في أعماله الشعرية وبين انتقاده كشاعرا رجعيا، أدى به إلى تشريح أعمال هذه الشخصية الشعرية بغيت الوصول إلى الصواب وذلك من خلال كشف حركة النسق في أعماله الشعرية، وهي اللعبة التي يتقنها هو والمتنبي – كما تناولناه سابقا –

وللفصل في رأي واحد و لإثبات صحة موقف واحد حول شخصية أبو تمام تناولها الغذامي بالدراسة لكشف ما كان متسترا من تحت الصورة الجمالية هذه الإخيرة التي تخفي تحتها عيوب نسقية في الخطاب الشعري، والتي أدت إلى كشف و إزاحات الغموض عما كان السابقون فيه من عماء، نتيجة إعجابهم بأعماله الشعرية وفي هذا يقول الغذامي: "غير أن هؤلاء و أولئك لم يخرجوا عن حدود الشكل الأولي للنظام اللغوي، وظلوا محصورين بالشرط البلاغي، أي أنهم ظلوا يفكرون من داخل النسق، ولذا احتكموا إلى مفهوم كل واحد منهم للشرط ولشرط التعبير المجازي، وهذا لا يمكن أحد من كشف الرجعية الحقيقية لأبي تمام، ومعها

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافية العربية، مرجع سابق، ص177.

[2] المرجع نفسه، ص177.

الرجعية النسقية للمعجبين بتجربته في حال من العمى الثقافي الذي معه لا يبصرون العيوب النسقية للخطاب"[1]، من هنا يمكن القول أن طريقة الغذامي في دراسة شخصية أبو تمام تختلف تماما على السابقون وطريقة تفكيرهم من داخل النسق، و أنهم خضعوا لتأثير مفعول النسق مما أدى بهم إلى العمى الثقافي الذي جعلهم يعجبون بأعماله ويتبعونها ويكررونها عبر العصور هذا ما أدى إلى شيوع النظر الحداثي إلى أبي تمام لتمكنه من بناء النسق وتأثير السامع له.

إذا لنا قد عبد الله الغذامي اختلف عنهم في طريقة تفكيره و التي ستكون حتما من خارج النسق وهذا دليل على عدم تأثير النسق على أفكاره مما أدى به إلى اكتشاف كيف صار أبو تمام رجعيا رغم شيوع النظرة الحداثية.

لقد ظهر أبو تمام "وكأنما هو المثقف المنتظر شاب يحمل رغبته جامحة للتجديد ولمواجهة الأعراف التقليدية، وبدا عليه أنه قد برم من سلطة النسق، فاعترض على مقولة (ما ترك الأول للآخر شيئا)"[2]، من خلال قول الغذامي تفهم أن ظهور أبو تمام كان له رغبة تجديدية، تغييرية، حداثية، أي ضد إتباع الأوائل السابقين وهذا على حساب مقولته الشهيرة (ما ترك الأول للآخر شيئا)، كما وردت في الديوان:

" لازلت من شكري في جلة لا بسما ذو سلب فاخر

يقول من تقرع أسماعه كم ترك الأول للآخر "[3]

إلا أن دراسة الغذامي لهذه القصيدة وتفحصها لأسلوب أبو تمام من خلال النص الشعري الذي "يمدح فيها أحد الأمراء، وفيها يشير بتباه نسقي إلى أن ما تتضمنه قصيدته من ثناء على الممدوح لم يسبق أن ورد على لسان سابق، وكم ترك الأول للآخر، والآخر هنا هو أبو تمام تحديدا"[4].

---

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافية العربية، مرجع سابق، ص179.

[2] المرجع نفسه، ص180.

[3] المرجع نفسه، ص180

[4] المرجع نفسه، ص180.

يرى الغذامي هنا أن أبو تمام يقصد بالآخر ذاته أي يقصد نفسه وبهذه الطريقة هو يهمش الآخر في مقابل تمركز الذات حول ذاتيها، وبما أن الأمر كذلك وجد الغذامي نفسه أمام "مقولة النسق بقدر ما هي أداة تعزز النسق وتصدر عنه"[1].

وبما أن أسلوب أبو تمام يعزز من النسق وإتباعه بل ويزيد من تغلغله وغرسه في القارئ و إتباعه لا محال فهذا دليل قاطع للغذامي ليبرر مدى عودة ورجعية أبو تمام إلى الأصل الأول في مقابل ذلك نجد أن حداثية أبو تمام مجرد إشاعة، وتمكن النسق فينا حتى يعمينا عن النظر النقدي الموضوعي.

تمثل النتيجة التي وصل إليها الغذامي عن شخصية أبو تمام من خلال تحليل نصه الشعري عن طريق النقد الثقافي وتحليله المؤسساتي والذي تمثل هنا في تعزيز النسق من خلال تمركز الذات حول ذاتيها و إلغائها للآخر بالإضافة إلى تأويل النص الشعري من خلال دراسة خلفيته التاريخية فهو "أو شاعر مداح في نهاية العصر الجاهلي واستمرت على كل الأزمنة، مع استثناء محدد هو فترة صدر الإسلام"[2]، ومن ثم تطرق الغذامي إلى تفحص الظاهر منه والمستتر تحت الجماليات التعبيرية "وهي الجملة البلاغية التي يبدوا عليها التجديد والخروج على النسق"[3]، والذي كشف مدى رجعية أبو تمام من خلال إتباعه للأصل الأول وهذا ما زادمن تعزيز النسق وتشبهنا به وهو بذلك السبب الأول والأخيرة في العمى الثقافي.

وبهذا يكون الفضل للناقد عبد الله الغذامي في النقد الثقافي الذي يكشف المضمر النسقي لدى المستقبل الذي يمكن أن ي بالعمى الثقافي لولاه.

3-نزار قباني

ظهر نزار قباني مع حالة التمرد النسقي في مشروع الحداثة، تمثلت حداثته في حركة الشعر الحر التجديدية.

---

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافية العربية، مرجع سابق، ص180، 181.

[2] المرجع نفسه، ص 187.

[3] المرجع نفسه، ص187.

تضمن ديوانه "طفولة نهد" الفحولية الشعرية، فقد ورث "أسلافه من الفحول فإنه سيضع نفسه في الموضع المتعالي، وموضع الغلو الفاحش أليس يقول إن الشاعر الإنسان الإله، وأنه يحمل بين رئتين قلب الله، وأن على الناقد أن يقف موقف المتعبد أمام مبدعات الفحل الأسطوري...؟! بما أنه يحمل هذا المورث الفحولي بكامل نسقيته فإنه حتما سيتمثل هذه الفحولية شعريا"[1].

يثبت الغذامي قوله حول فحولية نزار قباني من خلال تموضع "الأنا" في أعماله الشعرية في بيت شعري يخاطب فيه ذاته يقول فيه:

" مـارست ألف عبادة وعبادة فوجت أفضلها عبادة ذاتي"

ويقول في بيت آخر:

" وذنوب شعري كلها مغفورة والله ﷻ التواب"[2]

وجد نزار قباني نفسه في موقف فادح في البيت الأول من حيث سلطوية الذات وسموها وجبروتها ما جعله يستدرك خطأه بغطاء فيه من الخدعة الجمالية، وهو ما جاء في البيت الثاني متضمنا ذنوبه مغفورة "أن الثقافة ذاتها اتخذت لنفسها قاعدة متعالية يتجاوز أخطاء الفحول وغفرانها لهم، فهم الدين يجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم"[3].

إن حقوق الغفران التي منحتها الثقافة لأخطاء الفحول وسمحت لهم "بتصوير الحق بصورة الباطل وهو القانون الفحولي سلطوي قديم ومتجذر أدى لوجود عيب في ثقافتنا وفي إصرارها على التعامل مع الأوهام ومبالغاتها الشعرية وذلك لخروجها عن التعبير الحقيقي إلى التعبير المجازي الذي يتمكن من خلاله خلف صور جمالية مغرية تسمح بطغيان الذات المفردة في مقابل إلغاء ورفض التعددية به".

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافية العربية، مرجع سابق، ص250.

[2] المرجع نفسه، ص251.

[3] المرجع نفسه، ص251.

وهذا رمز من رموز الفحولية الشعرية في شعر نزار قباني الذي مر تحت غطاء الجمالية البلاغية، وهو النسق الموروث ثقافيا.

كما يؤكد الغذامي أن نزار "هو إحدى الخلاصات الثقافية للنسق الفحولي، ويعزز ذلك جماهيرية نزار مما يعني توافقه مع الحس الوجداني العام للثقافة"[1]، إذا فنسق الفحولة ليس من إنتاج نزار قباني فهو موروث ثقافي اتبعه نزار وخضع له، كما جرى الحال مع القراء حيث ساهموا في ترسيخه بإعجابهم به دون نقده وكشف عيوبه النسقية، وفي هذا نجد الغذامي يقول: "ومن ثم نحن صناع طغاتنا، بما أن النسق الفحولي الشعري هو ذاته نسق الطاغية الاجتماعية"[2].

يؤسس نزار الثقافة مرتبطة بالنوازع النسقية الجماهيرية وهو ما كشفه الغذامي كقاءئ ناقد يقول:" شعر نزار هو ما يكشف لنا عن المضمر النسقي للثقافة العربية بوصفه شاهدا عليها وعلينا وعلى نفسه"[3]، مقتبسا في تبرير رأيه من كلام نزار ذاته يقول:" أنا مؤسس أو جمهورية شعرية أكثر مواطنيها نساء"[4]، أي أن شعره كان له قابلية من القراء وأكثر إعجابا به دون غيره وهنا تظهر الأنا الفحولية من خلال أعماله وإعجابه بها حتى الأنا المتسلطة في أعماله منحته جرأة خاصة حيث جعل من العالم كله نساء.

تمرر الأنساق وتستمر عبر الزمن الطويل تحت الغطاء الجمالي، الذي يحجب العيوب عبر النسق الثقافي ما يزيد من تعزيزها في الذهن الثقافي وهيمنتها عليه، وإعادة إنتاجها وهو ما جرى الحال مع نزار قباني أن "يكتب في آخر أيام حياته عام 1997 مثلما كتب في عام 1947، وكأن خمسين سنة من عمر الثقافة لم تمر ولم تفعل"[5].

---

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافية العربية، مرجع سابق، ص252.

[2] المرجع نفسه، ص253.

[3] المرجع نفسه، ص253.

[4] المرجع نفسه، ص253.

[5] المرجع نفسه، ص257.

كتب قصيدة سنة 1997، اقتبس الغذامي من قصائده التبرير والبرهان عن رأيه، يقول نزار في قصيدة كتبها في سنة 1997:

"أنا من ربيت دود القز

في أشجار نهديك

وحركت أحاسيس الرخام"[1]

مكررا ما قاله من قبل عقود:

"إن كنت أرض أن أحبك

فاشكري المولى كثيرا

من حسن حظك

أن غدوت حبيبتي زمنا قصيرا

فأنا نفخت النار فيك

وكنت قبلي زمهريرا"[2]

يخرج الناقد عبد الله الغذامي في نهاية دراسة النقدية يقول فيها:" مشكلتنا أمام شعر كهذا أننا استسلمنا لقاعدة نقدية (بلاغية) ذهبية تمنعنا من النظر في عيوب الشعر لأنها تحرم علينا مساءلة الشاعر من أفكاره، وتحدد لنا مجال الرؤية في ما هو جميل وبلاغي، وليس لنا النظر في العيب والخطل الفكري، والرخصة الوحيدة في النظر إلى العيوب الشكلية في الأوزان والقوافي أو عيوب التعبير اللفظي"[3]، وهذا هو العمى الثقافي.

إن ما توصل إليه الناقد عبد الله الغذامي بزيل الغمام ويكشف لنا الطريق نحو الدراسة النقدية اللازمة، وهي الدراسة الثقافية للفصل فيها كان مجهولا و مغفولا عنه في ضوء دراسة النقد الأدبي الذي قادنا نحو العمى الثقافي.

---

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافية العربية، مرجع سابق، ص260.

[2] المرجع نفسه، ص261.

[3] المرجع نفسه، ص262.

يحمل الغذامي مسؤولية العمى الثقافي وطغيانه على الثقافة العربية على عاتق القراء ويخص فئة القراء النقاد يقول:" نحن كقراء مسئولون عن هذا الضم الذي ابتكرناه لأنفسنا، وابتكرته الثقافة من أجلنا، وصار حالنا كحال الرعايا حينما يضعون طغاتهم عبر التصفيق لهم... والمصفق يربي سيده على مزيد من الغلو والغرور وهذا ما حدث بالضبط مع نزار قباني.. النموذج مطلوب في الذهن الثقافي"[1].

وهو ما تمثله لنا الغذامي في أعمال نزار الذي كان مرغوب في الذهن الثقافي وذلك لعدم خضوعه للدراسة النقدية الكاشفة للعيوب النسقية، وهو ما تطرق له الغذامي دون غيره من النقاد في دراسة جديدة سماها بالنقد الثقافي الذي يصل من خلالها إلى تأويل الأنساق الثقافية وكشف عيوبها.

4-أدونيس

أدونيس وهو آخر شخصية درسها الغذامي فوجده رجعي في حقيقته، وإن بدا حداثيا فحداثته شكلية ظهرت في الغطاء الخارجي أي على مستوى اللفظ بينما اللب بينما هو الخطاب الفحولي الغالب، فقد تبنى ثقافة الفحولية في الخطاب بكل سماته النسقية يقول الغذامي:" سنرى أنه ظل يمثل النسق الفحولي ويعيد إنتاجه في شعره وفي مقولاته بدءا من الأنا الفحولية وما تتضمنه من تتعالي الذات و مطلقيتها إلى إلغاء الأخر والمختلف، وتأكيد الرسمي الحداثي كبديل للرسمي التقليدي"[2].

حدد أدونيس الحداثة في العالم العربي بأنها كانت وزمن الشعر وأنها تحددت في الشعر دون سواه من المجالات الأخرى وهذا ما أطلقه على عنوان كتابه "زمن الشعر" غايته من هذه التسمية حسب رأي الغذامي قصد نفسه أي زمن الشاعر الأب، وفي هذا دليل قاطع على رجعية أدونيس إلى زمن الفحل ومن خلال العبارات التي أثبتت رجعية أدونيس وجد فيها

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافية العربية، مرجع سابق، ص268.

[2] المرجع نفسه، ص271.

الخذامي عبارات نسقية التي تدعي في ظاهرها أن الشعر الفحل هو شاعر متفرد متميز وهذا ماجا في قوله:" الشعر الجديد متميز في الخلف وفي مجال انهماكاته الخاصة كشاعر وشعره مركز لاستقطاب المشكلات الكياني"[1] .

أراد أدونيس من قوله إثبات صفة الذات ومدي قدرتها على خلق الجديد في عالمها، وهذه الطريقة منحت الأنا صفات ومزايا تدعو الترغيب لها وفي المقابل" يؤكد عدم مجازية عباراته الواردة في قصائده، ويحولها إلى مقولات نسقية ذات بعد نظري وثقافي يؤمن بها الشاعر ويحدد مشروعه الحداثي بسماتها، حسب تصوره للحداثة"[2]، إلا أن الغذامي لم يجد فهم جديد للأنا الفحولية في الخطاب مما أدى به للحكم على أقوال أدونيس بأنها جمل ثقافية نسقية شكلية وظاهرية ، فقد استخدمها أدونيس لتمرير أفكاره واثبات حداثة أعماله الشعرية مؤكدا في قوله " انه اللب الأعمق والمسيطر على خطاب أدونيس ومقولاته وأفكاره وأي قراءه لأعمال أدونيس الأخرى المبكر منها والمتأخر سيعطي النتيجة ذاتها ، بل انه ليعيد ويكرر هذه المقالات مع شيء يسير من التعديل بل في الصيغ، ويصر على التكرار هذا لسبب جوهري هو البحث على الصيغة النهائية المطلقة"[3].

استخدام أدونيس لأفكار سابقيه ولو كان فيه نوع من التغيير فقد استعادها وتمثلها في ذاته ما أكد على رجعيته، كما أن عملية ترويجه لأعماله الشعرية عن طريق الأنا والذاتية المتعالية التي جعل منها مركز للاستقطاب اثبت وجود النسقية في أعماله ما جعل الغذامي بدوره النقدي يكشف عن عيوب الأنساق وما تخفيه من دلالات غير ظاهرة والمعلنة عليها من خلال ممارساته التأويلية وجد بأن أدونيس رجعي وذلك لرجوعه بأفكار سابقة وأهمها الأنا المتعالية وهي رمز من رموز الفحل الشعري بالإضافة إلى استحضار الأنا والترويج لها أدي إلى تهميش الأخر، وهذا هو النموذج النسقي الذي يثبت رجعيته بدل حداثته.

---

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافية العربية، مرجع سابق، ص275.

[2] المرجع نفسه، ص 276.

[3] المرجع نفسه، ص277.

خاتمة

خـــــاتمة:

بعد هذه الرحلة في منجز الغذامي النقدي "النقد الثقافي" توصلت إلى جملة من النتائج مفادها:

1- جاء الغذامي بإستراتيجية جديدة هي النقد الثقافي مقابل موت النقد الأدبي، غايته من ذلك: البحث عن القبيح في الجميل وهذا هو الجديد عما كان معروف من قبل في (النقد الثقافي).

2- فك الشفرات والرموز اللغوية في الثقافة العربية السائدة هي غاية الغذامي من خلال مشروعه النقد الثقافي، حيث تمثلت هذه الرموز في ما سماه بـ "النسق".

3- تميزت طريقة الغذامي في إبداء وجهة نظره من خلال التفكيك للكشف عن المخبوء في المضمر النسقي.

4- تمثلت عملية التأويل عند الغذامي من خلال شاعرين قديمين هما: المتنبي وأبو التمام، وشاعرين معاصرين هما نزار قباني وأدونيس.

5- مثل النسق النقطة المركزية التي بنى عليها الغذامي مشروعه النقدي.

6- البحث عن القبيح من خلال الجميل هو الجديد النقدي الذي جاء به الغذامي في مشروعه النقدي "النقد الثقافي".

7- أوّل الغذامي الخطاب الشعري من خلال النقد الثقافي الذي شَرَّحَ الأنساق الثقافية المتبعة والجمالية وصولا إلى القبيح المخبوء فيها والمُمَرَرْ عبر الأنساق.

8- إهتم الغذامي بالنصوص المهمشة وكشف الغاية من تهميشها من مثل الأدب السياسي والنسوي، فهو بذلك يرفض التميز والانتقاء والتعالي في دراسته فقد اشتملت على ما هو جمالي وغير جمالي.

9- حضور التأويل في النقد الثقافي ما جعل قراء الغذامي في النقد الثقافي عبارة عن تأويل.

10- استعان الغذامي بالمناهج النقدية في مشروعه النقدي " النقد الثقافي" كالتفكيكية ليصل من خلاله إلى أوجه التأويل للمضمرات النسقية الثقافية العربية.

11-الممارسة التأويلية على النصوص الشعرية وهذا ما لمسناه من خلال إطلاعنا على الفصول التطبيقية خصص لشخصيات كانت هي العناوين العريضة مثل:المتنبي، وأونيس...

12-من خلال ممارسة الغذامي التأويل في مشروعه النقدي "النقد الثقافي" أدى إلى الاستخلاص بأنه عبارة عن تأويل.

إن دراسة التأويل هو اجتهاد فكري واسع، فكيف إذا ارتبط بالنقد الثقافي، فستزيد اتساعا ولذلك لن تكون هذه النتائج المتوصل إليها هي آخر ما يختم به الموضوع، خاصة إدا ارتبطت الدراسة بمؤلفات عبد الله الغذامي، هذا ما سيجعل الموضوع أكبر. فف العديد من مؤلفاته يتطرق إلى موضوع التأويل ولا يعتبر النموذج المتطرق إليه الوحيد، إلا أن التقيد بالموضوع من خلال ضبط الدراسة بنموذج واحد، بالإضافة إلى ضيق الوقت ما يلزمنا الحد فيه.

أتمنى أن يكون هذا النموذج بداية لدراسات قادمة في درجات أعلى.

ملحق

ملحق:

عبد الله محمد الغذامي من مواليد السعودية سنة 1946

- دكتوراه في الآداب من جامعة اكستر–بريطانيا.
- شغل كرسي النقد في أكثر من جامعة، وعضوية أكثر من هيئة ثقافية هامة.
- اهتم بالمجالات الثقافية اهتماما ما برز، وحصل على من جوائز عدة: جائزة العويس.
- عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.
- له كتب عدة مؤلفات نذكر منها:

1- تشريح النص.

2- الموقف من الحداثة.

3- الكتابة ضد الكتابة.

4- ثقافة الأسئلة.

5- المشاكلة والاختلاف.

6- المرأة واللغة.

قائمة المصادر

والمراجع

قـائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

01-عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط3، 2005.

ثانيا: المراجع

02-أمير حسين مدني، الهرمينوطيقا، قراءة في المحددات العامة، مجلة الحياة الطيبة، ع29،إخراج وطباعة شركة ديوان العالمية، 2014.

03-أحمد مداس، النص والتأويل، منشورات مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة.

04-إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط2، 2007.

05-أحمد عبد الغفار، ظاهرة التأويل وصلتها باللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،2012.

06-جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، ط1، 2002.

07-جميل حمداوي، نظريات النقد الأدبي في مرحلة النقد الأدبي في مرحلة، ما بعد الحداثة، مكتبة الألوكة.

08-عادل مصطفى، مدخل إلى الهرمينوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جاء امير، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، ط1، 2003.

09-على حرب، هكذا أقرأ ما بعد التفكيك، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1، 2005.

10-عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، منشورات الاختلاف، ط1، 2007.

11-محمد هاشم عبد الله، ظاهريات التأويل، قراءة في دلالات المعنى عند يول ريكور، مجلة فصول النقد الأدبي، ع3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996.

12-ميجان الرويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط3، 2002.

13-نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2014.

يوسف بن زحاف، إشكالات التأويل، دار غيداء.

ثالثا : المعاجم:

14-إبراهيم مصطفي وآخرون، معجم الوسيط، م1، المكتبة الإسلامية اسطنبول، تركيا.

15-أحمد مطلوب، معجم المصطلحات النقد الثقافي العربي القديم ،عربي-عربي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

16-أبو حسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة، م1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 2008.

17-الفيروز آبادي، القاموس المحيط، م3، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 1983.

18-ابن منظور، لسان العرب، م1، دار الأبحاث، ط1، 2008.

19-محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، م1، دار الأبحاث، ط1، 2008.

20-المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت-لبنان.

21-محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 1999.

22-د. وحيد كبابة، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، عربي-عربي، م1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2012.

مقدمـة 5
مدخل: في الماهيات..... 7
تمهيد 7
01-مفهوم الـتأويــل 9
1-1لغــة:..... 9
1-2اصطلاحا:..... 10
1-3في القرآن الكريم 12
02-حدود التأويل: 13
03-النقد الثقافي(Cultural criticisme)..... 15
3-1 النقد:..... 16
لغــة 16
اصطلاحا..... 16
لغة 16
اصطلاحا..... 16
النقد الثقافي 17
3-3النسق 18
لــغة: 18
اصطــلاحا 18
الفصل الأول: التأويل والنقد الثقافي عند الغذامي..... 21
تمهيد 21
1-النقلة في المصطلح النقدي ذاته..... 23
1-1 عناصر الرسالة (الوظيفة النسقية) 23
1-2المجاز والمجاز الكلي..... 24
1-3التورية الثقافية 25
1-4نوع الدلالة (الدلالة النسقية) 26
1-5الجملة النوعية (الجملة الثقافية)..... 26
1-6المؤلف المزدوج:..... 27
2- في المفهوم (النسق الثقافي)..... 28
3- في وظيفة النقد الثقافي: 29
4- نقلة في التطبيق..... 30

02- أنواع الأنساق: 31
2-1الأنساق الأصول: 31
2-2-الأنساق الهوامش 32
الفصل الثاني: الممارسة التأويلية عند عبد الله الغذامي 37
تمهيد 37
1-المتنبي 39
2- أبو التمام 45
3-نزار قباني 48
4-أدونيس 51
خـاتمة 55
الملحق: 58
قـائمة المصادر والمراجع 60
فهرس الموضوعات 60

الملخص:

جاء الناقد عبد الله محمد الغذامي باستراتيجية جديدة تمثلت في النقد الثقافي في دراسة أنساق الثقافية العربية وكشف عنما تخفيه من عيوب من خلال الصور الجمالية، حيث طبق هذه الدراسة على الشعر العربي القديم والمعاصر.

فإذا كان يكشف ويعري ما تخفيه هذه الصور الجمالية من عيوب نسقية، فهو، إذن، يمارس التأويل عليها من خلال استراتيجية النقد الثقافي.

Abstract:

The critic Abdullah Muhammad Al-Ghadami came with a new strategy repersented in cultural criticism in the study of Arab cultural patterns and revealed what they hide from defects through aesthetic images as he applied this study to ancient and contemporary Arabic poetoy if he reveals and exposes the systemic defects that these aesthetic imeges conceal, then he is practicing interpretation on them through the strategy cultural criticism.